الدُّرَّة في ترجمة إمام دار الهجرة

ترجمة موجزة للإمام مالك بن أنس رحمه الله

الأُسْتاذ الدُّكتور

عارف بن عوض عبد الحليم الرِّكابي

الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ

جَمِيْعُ الحُقُوْقِ مَحْفُوْظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ

بسم الله الرحمن الرحيم

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

المُقَدِّمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويُبصِّرون بنوره أهل العمىٰ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، نبي الهدىٰ والرحمات صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فقد حاز الإمام مالك مكانة عظيمة في قلوب المسلمين علىٰ مرِّ الأزمان، وانتشر علمه وكتابه الموطأ ومذهبه في أرجاء كثيرة من البلدان ؛ ومذهبه هو المعمول به في بلادنا وما جاورها من الأقطار، وقد حظي هذا الإمام الجليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدراسات وبحوث وتراجم من علماء الأمة المتقدمين والمعاصرين، تناولت سيرته العلمية ومسيرته التعليمية، وما أثرىٰ به أمته من العلم الزاخر الوافي، والمنهج القويم الصافي، وإن الحاجة بالأمة الإسلامية ماسة إلىٰ قراءة سيرته والاطلاع علىٰ ترجمته، والإفادة من دروسها وعبرها، وكذا دراسة ترجمة أمثاله من العلماء الجهابذة الأجلاء، وقد كانت رسالتي للماجستير في تطبيقات أصل سد الذرائع عند هذا الإمام المُبَجَّل ونوقشت في عام ١٤٢١هـ، وقد أفردتُ أحد فصولها في ترجمة موجزة له، هي درر ثمينة، انتقيتها من عدد كبير من كتب أهل العلم، ولما أعلمه من الحاجة إلىٰ الاطلاع علىٰ هذه

الترجمة بدا لي أن أخرجها مفردة، لأضعها بين يدي محبي العلم وطلابه، وأرجو أن يكون لها الأثر المنشود في مزيد من التشجيع والبذل في مسيرتهم العلمية والبحثية والتعليمية ؛ لنفع أنفسهم ومجتمعهم ودينهم.

وأسأل الله تعالىٰ أن يجزي علماء المسلمين عن أمتهم خيراً، وأن ينفع بتراثهم، ويجمعنا بهم في الفردوس الأعلىٰ.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

عناصر الترجمة

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته

ثانيًا: ولادته

ثالثًا: أسرته

رابعًا: صفته وملبسه

خامسًا: عصره

سادسًا: طلبه للعلم واجتهاده في تحصيله

سابعًا: شيوخه

ثامنًا: جلوسه للتدريس والإفتاء وصفة مجلسه وتحريه للفتوىٰ

تاسعًا: تلاميذه

عاشراً: من حكمه ووصاياه

حادي عشر: الأصول التي بنىٰ عليها فقهه

ثاني عشر: مؤلفاته

ثالث عشر: ثناء العلماء عليه

رابع عشر: وفاته

خامس عشر: سعة انتشار المذهب المالكي

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته(١)

هو إمام دار الهجرة، الإمام المبجل، والعالم النحرير، والفقيه الثقة الثبت، والمحدّث المسدّد، من جمع بين علم الرواية والدراية عالم المدينة: أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر-واسمه نافع- بن عمرو بن الحارث بن غيمان(٢) من خُثيل(٣) بن عمرو بن الحارث-وهو ذو أصبح- بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زُرعة، الحميري ثم الأصبحي المدني، حليف بني تيم من قريش، فهم حلفاء عثمان أخي طلحة بن عبيد الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة(٤).

---

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٣١٦)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (١٢/ ١٦)، والانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ص ٣٦-١١٤، وترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ١٤٠-١٤٤)، وصفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ١٧٧-١٨٠)، والكامل لابن الأثير (٦/ ١٤٧)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٧٥-٧٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٨-١٣٥)، والعبر للذهبي (١/ ٢٧٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ١٧٤-١٧٥)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ص٥٦-٧٩، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ١٠)، والتاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٣١٠)، والأنساب للسمعاني (١/ ٢٨٧)، ومناقب مالك للزواوي ص١٦٠-١٦٢، وتزيين الممالك للسيوطي ص٢-٨.

(٢) كذا هو غيمان، بالغين المعجمة المفتوحة، والياء الساكنة باثنتين من أسفل. ذكره غير واحد، وكذا قيده الأمير أبو نصر بن مأكولا وحكاه عن إسماعيل بن أبي أويس. انظر: ترتيب المدارك (١/ ١٤٤)، والديباج ص٥٦.

(٣) بالخاء المعجمة مضمومة، وثاء مثلثة مفتوحة وياء باثنتين من أسفل ساكنة، كذا قيده الأمير أبو نصر وحكاه عن محمد بن سعد عن أبي بكر بن أبي أويس، وقال أبو الحسن الدار قطني: جثيل-بالجيم-وحكاه عن الزبير. وأما من قال: عثمان بن حثيل أو ابن حنبل فقد صحف. انظر: ترتيب المدارك (١/ ١٤٤)، والديباج ص٥٦.

(٤) انظر: المصدرين السابقين، والانتقاء لابن عبد البر ص٣٦، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨).

قال أبو عمر ابن عبد البر[1]: «لا أعلم أن أحدا أنكر أن مالكا ومن ولده كانوا حلفاء لبني تيم بن مرة من قريش........»[2].

«وكان مالك الفقيه يقول لسنا موالي آل تيم إنما نحن عرب من أصبح ولكن جدي حالفهم»[3].

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عاصم النمري المالكي، المحدث الفقيه المؤرخ الإمام، أخذ العلم عن أحمد الباجي، وأحمد الأشبيلي، والطلمنكي، وابن الدباغ.
وأخذ عنه: ابن حزم، وطاهر المعافري، وسفيان الأسدي، وحسين الغساني. من مصنفاته: (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)، و(الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار)، و(الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، (جامع بيان العلم وفضله)، و(الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء) وغيرها. ولد في سنة (٣٦٨هـ)، وتوفي سنة (٤٦٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣)، والديباج ص٤٤٠.

(٢) الانتقاء ص٣٦.

(٣) فتح الباري (٤/ ١٤٤).

ثانياً: مولده ونشأته

اتفق جمهور العلماء علىٰ أن الإمام مالكـًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولد بالمدينة المنورة، إلا ما ذكره أمين الخولي من أن الإمام مالكـًا ولد في مكان يبعد عن المدينة إلىٰ الشمال منها باثنين وثلاثين فرسخـًا، وذلك يعني بمقاييس العصر مائة واثنين وتسعين كيلو متراً، واسم هذا المكان(ذو المروة)، وهو شبيه بالواحة لما فيه من عيون، ومزارع وبساتين، ثم ما لبث والده أن انتقل إلىٰ المدينة فاختار (العقيق) سكنـًا له[1].

وأما السنة التي ولد فيها، فقد اختلف العلماء في تحديدها اختلافـًا كثيراً، فقيل سنة(٩٠هـ)، وقيل سنة (٩٣هـ)، وقيل: (٩٤هـ)، وقيل: (٩٥هـ)، وقيل: (٩٦هـ)، وقيل: (٩٧هـ).

وقد رجح كثير منهم أن ولادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت في سنة(٩٣هـ)[2].

وقال القاضي عياض[3]: «فالأشهر فيما روي من ذلك قول يحي بن

---

(١) انظر: مالك بن أنس لأمين الخولي ص١٩، والإمام مالك بن أنس لمصطفىٰ الشعكة ص٣.

(٢) انظر: ترتيب المدارك (١/ ٤٩)، والانتقاء ص٣٦، والسير (٨/ ٤٩)، والديباج ص٥٩.

(٣) هو أبو الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرو بن موسىٰ اليحصبي الأندلسي ثم البستي المالكي، محدث، ومؤرخ، ولغوي. **أخذ عن**: محمد التميمي، ومحمد المسيلي، والصّدفي.. **وأخذ عنه**: ابن بشكوال، وأبو جعفر الغرناطي، وعبدالله الأشيري، وابنه محمد.. **من مصنفاته**: (الإكمال في شرح صحيح مسلم)، و(مشارق الأنوار) في تفسير غريب الحديث، و(الشفاء بتعريف حقوقه المصطفىٰ) و(الإلماع إلىٰ معرفة أصول الرواية وتقييد السماع)، و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك)...ولد سنة (٤٧٦هـ)، وتوفي سنة (٥٤٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣)، والديباج ص٢٧٠.

بكير[١]، أنه سنة ثلاث وتسعين من الهجرة»[٢]

وقال الذهبي[٣]: «مولد مالك علىٰ الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٤]

وقد شُهر أن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حملت به أمه ثلاث سنوات، قال ذلك ابن الصائغ، والواقدي، ومعن، ومحمد بن الضحاك[٥]، وقال نحوه: بكار بن عبدالله الزبيدي، وقال: نضجته والله الرحم[٦]

وعن الواقدي-أيضـًا-أنها حملت به سنتين[٧]

---

(١) هو يحي بن بكير بن عبدالرحمن التميمي، المحدث الفقيه، قرأ علىٰ مالك الموطأ، ولازمه مدة للاقتداء به، ويعد من أصحابه، أخذ عن: مالك، والحمادين، وابن عيينة. **وعنه أخذ**: ابن راهويه، والذهلي والبخاري، ومسلم. توفي سنة(٢٢٦هـ). انظر: الديباج المذهب ص٤٣٠.

(٢) ترتيب المدارك١/ ٤٩، وانظر: الانتقاء ص٣٦، والديباج ص٥٩.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله الذهبي، الإمام المحدث، المؤرخ، الفقيه، المفسر. **أخذ عن**: محمد المقدسي، والأسكندراني، وأبي محمد البعلبكي، والمزي، وابن تيمية. **وأخذ عنه**: ابن كثير، والعلائي، وابن رجب..له مصنفات عديدة، ومفيدة، منها: (سير أعلام النبلاء)، و(تذكرة الحفاظ)، و(العبر)، و(معجم الشيوخ)، و(الكبائر)، و(العلو) وغيرها. ولد سنة(٦٧٣هـ)، وتوفي سنة (٧٤٨هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٣/ ٤٣٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩).

(٥) انظر: الانتقاء ص:٤٠، وترتيب المدارك (١/ ٥٠)، والديباج ص٥٩.

(٦) قال القاضي عياض في ترتيب المدارك (١/ ٥٠): وأنشد الطرماح:

تظنّت بحملنا الأرحام حتىٰ   تنضجنا بطون الحاملات.

(٧) وكذلك روي عن عطاف بن خالد، انظر: ترتيب المدارك (١/ ٥٠)، والديباج ص٥٩، ولعل الواقدي بنىٰ ما قاله-من أنه حمل به ثلاث سنوات- علىٰ ما سمعه من الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: قد يكون الحمل ثلاث سنين، وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين، قال الواقدي: يعني نفسه. انظر: مالك بن أنس إمام دار الهجرة، لعبدالغني الدقر ص٢٥.

قال عبدالغني الدقر: «...وأغلب الظن أن هذا–وإن رواه الأثبات– لا يثبت علىٰ التمحيص والعلم، وهو من قبيل الإغراب في أخبار علماء الأمة وعظمائها، وقد يكون هذا النوع من الحمل من شذوذ الخلق، والغريب علىٰ كل وجه أن يجعل الأئمة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، أقصىٰ مدة الحمل أربع سنين وأقلها ستة أشهر...ومن الفقهاء من لم يجاوز أكثر الحمل السنة الواحدة وهذا ما أصرّ عليه ابن حزم، وهذا ما ينبغي أن يثبت ويقرر، ومنهم من توسط فجعل أكثر الحمل سنتين، وهو ما عليه المذهب الحنفي»[(١)]

(١) الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، لعبدالغني الدقر ص٢٥.

ثالثاً: أسرته وأهل بيته

نشأ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيت اشتغل بعلم الأثر، وفي بيئة علمية متميزة، وتربىٰ في بيتٍ فاضل، وأسرة مباركة، اشتهرت بالعلم، وبيان ذلك بإيجاز فيما يلي:

أبوه:

أنس بن مالك من تابعي التابعين، ويظهر أن اشتغاله بالحديث لم يكن كثيراً، فلم يعرف أن مالكًا روىٰ عنه، ولو كان له شأن فيه-أي في الرواية-لكان أول من يروي عنه من العلماء، وقد سئل الإمام مالك عن أبيه، فقال: «كان عمي أبو سهيل ثقة»(١).

وقد ذكر في بعض الكتب: روي عن مالك عن أبيه، عن جده عن عمر بن الخطاب عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: «ثلاث يفرح لهن الجسد، فيربو عليهن: الطيب والثوب اللين وشرب العسل». ولكن أهل التحقيق من علماء الحديث قالوا: إن هذا الخبر لا يصح عن مالك فهو ضعيف(٢).

وإذا لم ينسب إلىٰ مالك أنه روىٰ عن أبيه غير الخبر الذي يشك في نسبته إليه، فالظاهر أن مالكًا لم يرو عنه شيئًا، وإذا كان لم يروِ عنه فلأنه لم يكن في مقام من علم الحديث يسمح بأن يكون شيخًا لابنه، فلم يكن إذاً من

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ٤٧-٤٨).

(٢) ذكر رواية مالك عن أبيه أنس، كل من: ابن أبي حاتم، وأبو إسحاق بن شعبان، وروي عن الضراب أن ابن شهاب روىٰ عن أنس بن مالك، انظر: ترتيب المدارك (١/ ٤٧-٤٨)، والديباج ص٥٨، وتزيين الممالك ص٥.

المشتغلين بالعلم والحديث.

ومهما يكن حال أبيه من العلم ففي أعمامه وجده غناء ويكفي مقامهم في العلم لتكون الأسرة من الأسر المشهورة بالعلم.(١)

جده والد أبيه:

وهو مالك ويكنىٰ بأبي أنس وهو عالم روىٰ عنه أبناؤه ويُعدُّ في كبار التابعين وعلمائهم، يروي عن عمر وطلحة وعائشة وأبي هريرة وحسان، وهو مصدر علم لحفيده باتفاق العلماء، وكان ذا صلة بالخليفة عثمان. فقد كان ممن يكتب المصاحف حين جمع عثمان المصاحف، وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان ليلاً إلىٰ قبره وغسلوه ودفنوه، وقد امتد به العمر فعاش طويلًا حتىٰ عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز(٢)، وكان له به صلة وكان وممن

---

(١) مالك بن أنس لكامل عويضة ص ٩ – ١٠، والإمام مالك بن أنس للدقر ص ٢٥ – ٢٦، والإمام بن أنس للشكعة ص ٤.

قال القاضي عياض: «قال أبو مصعب كان أبو مالك بن أنس مقعداً، وكان له قصر بالجرف يعرف بقصر المقعد» المدارك (١/ ٤٨).

ولكن مع قعود أبيه وعدم انشغاله بالحديث إلا أنه قد ورد ما يدل علىٰ ثقافته وتأثيره علىٰ ابنه فقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ «كان لي أخ في سن ابن شهاب – يقصد ابن شهاب الزهري – فألقىٰ أبي يوماً مسألة فأصاب أخي وأخطأت، فقال لي أبي ألهتك الحمام عن طلب العلم فغضبت وانقطعت إلىٰ ابن هرمز سبع سنين. وفي رواية ثمان سنين لم أخلط بغيره..» المدارك (١/ ٥٥) والديباج ص ٦٣.

(٢) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد أمير المؤمنين حقـًا، القرشي الأموي الخليفة الزاهد أشج بني أمية أخذ عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وسهل بن سعد وسعيد ابن المسيب وعروة وأمَّ بأنس بن مالك، فقال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الفتىٰ، وأخذ عنه أبو بكر بن حزم ورجاء بن حيوة وابن المنكدر والزهري وأبو

يستشيرهم، وتوفي سنة ١١٢ هـ(١).

جد أبيه:

أبو عامر واسمه نافع، قيل إنه صحابي، شهد المغازي كلها مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خلا بدراً(٢).

وقيل إنه لم يلق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلا أنه عاش في زمانه وسمع عثمان ابن عفان فهو تابعي مخضرم(٣).

أعمامه:

للإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أعمام وهم:

- **أبو سهيل** نافع المدني: روىٰ عن ابن عمر وأنس، وسهل بن سعد وسعيد بن المسيب ووالده، وروىٰ عنه ابن أخيه الإمام مالك وابن شهاب -

---

سلمة.. قال الثوري: قال عمرو بن ميمون: كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة. ولد سنة ٦٣ هـ وقيل ٦١ هـ وتوفي سنة ١٠١ هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٣٣)، حلية الأولياء (٥/ ٢٥٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤).

(١) ترتيب المدارك (١/ ٤٧)، الديباج ص ٥٧.

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٤٧) حيث قال القاضي عياض: «ذكر القاضي بكر بن علاء القشيري أن أبا عامر بن عمرو جد أبي مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: وشهد المغازي كلها مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خلا بدراً».

وتابع القاضي عياض ابن فرحون - كما في الديباج ص ٥٧، وانظر: شرح الزرقاني علىٰ الموطأ (١/ ٢).

(٣) وممن نفىٰ صحبته: الذهبي - كما في تجريده - حيث قال: «ولم أرَ أحداً ذكره في الصحابة»، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ١٨١) وقد نقل ذلك عن بعض أهل العلم، منهم الزرقاني - كما في شرحه للموطأ (١/ ٢).

شيخ مالك - وإسماعيل ومحمد ابنا جعفر بن أبي كثير والدراوردي وغيرهم. وقد خرَّج أهل الصحيح البخاري ومسلم ومن بعدهم عنه وعن أبيه مالك كثيراً وقد تأخر إلىٰ قرب الثلاثين ومائة[١].

• **أويس**: وقد ذكره ابن حبان[٢] في الطبقة الثالثة من الثقات[٣] روىٰ عن أبيه مالك وروىٰ عنه مصعب بن محمد بن شرحبيل وهو جد إسماعيل بن أويس[٤].

• **الربيع**: قال القاضي عياض: «قال إسماعيل: جالسته، وقال أبو حاتم: لم يُرْوَ عنه العلم. وقال أبو القاسم الجوهري: لم يرو عنه إلا سليمان بن بلال، وذكر التستري لأبي بكر الأويسي عنه رواية»[٥] وقد روىٰ أربعتهم - أعمام مالك الثلاثة وأبوه أنس - عن أبيهم مالك بن أبي عامر[٦].

أمـــه:

اسمها العالية - وقيل: عالية - بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ٤٨) والسير (٥/ ٢٨٣).

(٢) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن تميم التميمي الدارمي البستي، إمام حافظ محدث فقيه لغوي، أخذ عن الجمحي والساجي والنسائي وابن حزيمة.. وعنه ابن مندة والحاكم ومنصور الخالدي.. ألف التصانيف الكثيرة منها «تاريخ الثقات» و«علل أوهام المؤرخين» و«الكنىٰ» و«مناقب مالك» و«مناقب الشافعي» و«الصحيح» وغيرها. ولد سنة بضع وسبعين ومائتين وتوفي سنة ٣٥٤ هـ. انظر: الأنساب للسمعاني (٢/ ٢٠٩)، معجم البلدان (١/ ٤١٥)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢).

(٣) الثقات لابن حبان (٦/ ٨٤).

(٤) ترتيب المدارك (١/ ٤٨).

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق

الأزدية، وأزد من أشهر قبائل العرب الحميرية القحطانية وهي بذلك تلتقي مع زوجها أنس بأنهما من عرب اليمن(١).

وقيل إن اسمها طليحة وهي مولاة لعبد الله بن معمر(٢).

وقد كانت امرأة فاضلة، وكان لها دور عظيم في توجيه ابنها لطلب العلم وقد ذكر عنها ابنها الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ مواقف عدة، منها قوله: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم - فألبستني ثياباً مشمرة ووضعت الطويلة علىٰ رأسي وعممتني فوقها - ثم قالت: اذهب فاكتب الآن. وقال: كانت أمي تعممني وتقول لي: «اذهب إلىٰ ربيعة(٣) فتعلم من أدبه قبل علمه»(٤).

أخوه: النضر بن أنس:

وقد كان مقبلاً علىٰ العلم، ملازماً للفقهاء متلقياً عنهم، معروفاً لديهم، حتىٰ إن الإمام مالكاً كان يعرف به، وذلك لشهرته بين الفقهاء فلما ذاع أمر مالك بين شيوخه صار أشهر من أخيه وصار يذكر النّضر بأنه أخو مالك(٥)

وقد أشار إليه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما قال: «كان لي أخ في سن ابن

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ٤٧) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩) وانظر الإمام مالك بن أنس للدقر ص ٢٤

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٤٧) والديباج ص ٥٧، ونقل كل من القاضي عياض وابن فرحون كلام ابن عمران التميمي القاضي - أيضاً - عندما قال: ما بيننا وبينه نسب إلا أن أمه موالاة لعمي عثمان بن عبيد الله - والله أعلم - .

(٣) ستأتي ترجمته - انظر ص٢٣-٢٤.

(٤) ترتيب المدارك (١/ ٥٤).

(٥) المصدر السابق (١/ ٥٥) وانظر: مالك لأبي زهرة ص ٢٣.

شهاب فألقىٰ أبي يوماً علينا مسألة، أصاب أخي وأخطأت، فقال لي ألهتك الحمام»[١].

أبناؤه:

رُزق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أبناء، وبنت، وهم: يحي، ومحمد، وحماد، وفاطمة–وتكنىٰ أم البهاء–[٢].

ويذكر أن يحي يروي عن أبيه نسخة من الموطأ، وذكر أنها تروىٰ باليمن.

وذُكر كذلك عن فاطمة أنها كانت تحفظ الموطأ، فقد جاء في (ترتيب المدارك) وغيره، أن لمالك ابنة كانت تحفظ الموطأ، وكانت تقف خلف الباب، فإذا غلط القارئ نقرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه[٣].

ولعلها–إن صحت القصة– تكون فاطمة أو تكون ابنة أخرىٰ، ويكون عدد أولاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسة– والله أعلم.

هذه أسرة مالك، وهي توعز إلىٰ الناشئ فيها بأن يتجه إلىٰ طلب الحديث والفتيا، إن كان استعداده لهما، فإن الناشئ تتغذىٰ مواهبه ومنازعه في منزع بيته، وما يتجه إليه، فتترعرع تحت ظلها المواهب وتتجه المنازع[٤].

(١) المصدر السابق (١/ ٤٨).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٤٨).

(٣) ترتيب المدارك (١/ ٤٨)، والديباج ص٥٨.

(٤) مالك، لأبي زهرة ص٢٣.

رابعاً: صفته وملبسه

صفته الخَلقية:

كان الإمام مالك طويلاً، جسيماً، عظيم الهامة أبيض الرأس واللحية، شديد البياض إلىٰ الصفرة، أعين، حسن الصورة، أصلع أشم، عظيم اللحية، تامها، تبلغ صدره ذات سعة وطول وكان يأخذ أطراف شاربه، ولا يحلقه ولا يحفيه ويرىٰ حلقه مُثلة وكان يترك له سبلتين[1]، ويحتج بفتل عمر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - لشاربه إذا أهمه أمر[2].

قال أبو عاصم: «ما رأيت محدثاً أحسن وجهاً من مالك»[3].

وقال عيسىٰ بن عمر المديني: «ما رأيت قط بياضاً ولا حمرة أحسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب منه»[4].

وقال مصعب الزبيري: «كان مالك من أحسن الناس وجهاً وأحلاهم عيناً وأنقاهم بياضاً وأتمهم طولاً في جودة بدن»[5].

ولم يكن يخضب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو المشهور عنه ويحتج بأن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان لا يخضب[6].

---

(١) السبلة: ما علىٰ الشفة العليا من الشعر، انظر: مختار الصحاح ص ٢٨٤.

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٥٠).

(٣) المصدر السابق، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٧٠) والديباج المذهب ص ٥٩.

(٤) ترتيب المدارك (١/ ٥٠).

(٥) المصدر السابق والسير (٨/ ٧٠) والديباج ص ٥٩ - ٦٠.

(٦) السير (٨/ ٧٠) والديباج ص ٥٩ - ٦٠.

ملبسه:

كان الإمام مالك يعنىٰ بلباسه أتم عناية، فقد كان يلبس أجود اللباس وأغلاه وأجمله، مما يليق به من الثياب العدنية الجياد والثياب الخراسانية المرتفعة البيض ويتطيب بطيب جيد ويقول: «ما أحب لأحدٍ أنعم الله عليه إلا ويرىٰ أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم»، وكان يقول: «أحب للقارئ أن يكون أبيض الثياب»[1].

قال بشر بن الحارث: «دخلت علىٰ مالك، فرأيت عليه طيلساناً يساوي خمسمائة، قد وقع جناحاه علىٰ عينيه أشبه شيء بالملوك»[2].

وكان إذا لبس العمامة جعل منها تحت حنكه، وأرسل طرفها خلفه، وكان يتطيب بالمسك وغيره[3].

وقال ابن أبي أويس: «ما رأيت في ثوب مالك حبراً قط»[4].

(١) ترتيب المدارك (١/ ٥١).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ١٥) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٧٠) والديباج ص ٦١.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) ترتيب المدارك (١/ ٥١) والديباج ص ٦١.

خامساً: عصره

عمّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحواً من سبع وثمانين سنة، كان منها في العصر الأموي نحو أربعين سنة، ومنها في العصر العباسي الأول نحو سبع وأربعين سنة، وقد قارن من حياته من الأمويين تسعة خلفاء[١] ومن العباسيين خمسة [٢].

وامتاز الحكم الأموي بكثرة الفتوح ومضاء العزيمة ووفرة القواد الشجعان المحنكين. وأما من الناحية العلمية -في الحديث والفقه في الدين- فقد بلغت أوجها في الرواية عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة الحديث والفتاوىٰ، حتىٰ التفسير، فقد بدأ الناس يروون عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قولهم.

وكان في هذا العصر كثير من التابعين كالزهري[٣] وربيعة الرأي أخذوا عن بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كما أخذوا عن كبار التابعين كسعيد بن المسيب[٤]

---

(١) أولهم الوليد بن عبد الملك - فقد ولد في خلافته الإمام مالك - ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز - وكان عمر مالك حينما توفي عمر بن عبد العزيز تسع سنوات - ثم يزيد بن عبد المالك ثم هشام بن عبد الملك ثم الوليد بن يزيد بن الوليد الملقب بالناقص ثم إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار.

(٢) وهم: أبو العباس السفاح ثم أبو جعفر المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم هارون الرشيد. انظر: الإمام مالك بن أنس للدقر ص ١٤.

(٣) انظر ترجمته ص٢٥-٢٦.

(٤) هو أبو محمد سعيد بن المسيِّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه رأىٰ عمر وسمع عثمان وعلياً وزيد بن ثابت، وروىٰ عن أبي بن كعب مرسلاً، وروىٰ عن علي وسعد وعثمان وأبي موسىٰ وعائشة وابن عمر وأبي هريرة وابن عباس.. وروايته عنهم في الصحيحين. أخذ عنه ابن المنكدر والزهري وميمون بن مهران وقتادة وغيرهم. قال عنه ابن عمر: هو والله أحد المفتين، وقال الذهبي: كان ممن برز في العلم والعمل. =

وأضرابه.

وأما ما كان من العصر العباسي في حياة مالك، فقد كانت الفترة -أيضًا- فترة قوة ومضاء، وكانت رقعة الحكم ضخمة جداً، من أقصىٰ خراسان شرقًا إلىٰ الأطلسي غربًا ومن بحر العرب جنوبًا إلىٰ بلاد الروم وأذربيجان شمالاً[1]

أما ما يتعلق بالعلوم الشرعية، فما تختلف في هذا العصر عنها بالعصر الأموي إلا بتطورها وعمقها وإيجاد الترتيب والتأصيل، فقد تطور علم التفسير، وكثر نقل الأثر فيه عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عن بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وبدأ العلماء يفسرون علىٰ مقتضىٰ اللغة العربية مع الأثر.

أما الحديث فكما عُهد في عصر بني أمية، ولكن كثر تمحيص الحديث الصحيح من الضعيف والموضوع، وبدأ يبرز علم مصطلح الحديث وعلم الرجال والجرح والتعديل.

وكذا علم الفقه والعربية وغيرها من العلوم فقد ازدهرت في هذا العهد وأكثر أهل العلم من الاستنباط والتفريع[2].

وعند الحديث عن عصر الإمام مالك فإنه لابد من الحديث عن البلدة التي نشأ فيها الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألا وهي مهاجر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومهبط الوحي، المدينة النبوية، طيبة الطيبة، التي قال عنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

= ولد سنة ١٤ هـ وقيل ١٦ هـ وتوفي سنة ٩٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧)، الطبقات لابن سعد (٥/ ١١٩).

(١) الإمام مالك بن أنس للدقر ص ١٧.

(٢) الإمام مالك بن أنس للدقر ص ١٩.

«أمرت بقرية تأكل القرىٰ[١]، يقولون: يثرب وهي المدينة النبوية، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»[٢].

وقال عنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون»[٣].

وقال عنها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الإيمان ليأرز[٤] إلىٰ المدينة كما تأرز الحية إلىٰ جُحرها»[٥].

وقال داعياً لها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة»[٦].

---

(١) تأكل القرىٰ: أي ينصر الله الإسلام بأهل المدينة ويفتح علىٰ أيديهم القرىٰ، فتجلب الغنائم إلىٰ المدينة ويأكلها أهلها. وأضاف الأكل إلىٰ القرية والمراد أهلها، انظر: غريب الحديث للخطابي (١/ ٤٣٤)، شرح السنة للبغوي (٧/ ٣٢٠)، جامع الأصول (٩/ ٣٢٠)، فتح الباري (٤/ ١٠٤) أو أن انتشار الإسلام يكون ابتداؤه من المدينة ثم يغلب علىٰ سائر القرىٰ ويغلب علىٰ سائر الملك، فكأنها أتت عليه. قاله ابن حبان في صحيحه: (كما في الإحسان ٦/ ١٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٣٣٤).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس (٤/ ١٠٤ - فتح) حديث رقم ١٨٧١، ومسلم: كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال (٩/ ١٥٣ - النووي) من حديث أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة (٤/ ١٠٧) - فتح) برقم ١٨٧٥، ومسلم: كتاب الحج، باب ترغيب الناس في سكنىٰ المدينة (٩/ ١٥٨ - النووي) عن سفيان بن أبي زهير - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أي ينضم إلىٰ المدينة ويجتمع بعضه إلىٰ بعض فيها. النهاية لابن الأثير (١/ ٣٧) وانظر: فتح الباري (٤/ ١١١).

(٥) رواه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلىٰ المدينة (٤/ ١١١ - فتح) برقم ١٨٨٦ - عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري: كتاب فضائل المدينة، (٤/ ١١٧ - فتح) حديث رقم ١٨٨٥ ومسلم: =

وغيرها من الأحاديث الكثيرة المتوافرة التي تبين فضل المدينة ومكانتها في الإسلام وما اختصه الله تعالىٰ بها[1]؛ فنشأ الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه البلدة التي اختصها الله تعالىٰ مهاجراً لنبيه ومأوىٰ آواه إليه، وكان في عهد الإمام مالك العهد بعصر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين وصحابته الأخيار غير بعيد، ومن ثم فالفتاوىٰ باقية في الصدور، والأحاديث النبوية محفوظة في القلوب ومروية علىٰ الألسنة، وفقه عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب وما سجلوا من مسائل وما استنبطوا من أحكام لا تزال تروىٰ في الحلقات جيلاً بعد جيل، كل ذلك فضلاً عن ثقة المسلمين بساكني دار الهجرة الذين تعلموا علىٰ آثار مدرسة النبوة، وورثوا شمائل الصحابة، وتداولوا الأحكام التي بينها الفقهاء وعلماء التابعين الأولين[2] .

وقد قال زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إذا رأيت أهل المدينة علىٰ شيء فاعلم أنه السنة» وقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو أن الناس إذا وقعت فتنة ردوا الأمر فيه إلىٰ أهل المدينة فإذا احتجوا علىٰ شيء -يعني فعلوه- صح الأمر، ولكنه إذا

= كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بالبركة (٩/ ١٤٢ - النووي).

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «أي من بركة الدنيا بقرينة قوله في الحديث الآخر: «اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا» ويحتمل أن يريد ما هو أعم من ذلك، لكي يستثنىٰ من ذلك ما خرج بدليل، كتضعيف الصلاة بمكة علىٰ المدينة، واستدل به علىٰ تفضيل المدينة علىٰ مكة وهو ظاهر من هذه الجهة، لكن لا يلزم من حصول أفضلية المفضول في شيء من الأشياء بثبوت الأفضلية له علىٰ الإطلاق» فتح الباري (٤/ ١١٧).

(١) انظر: كتاب الأحاديث الواردة في فضائل المدينة للدكتور صالح الرفاعي، وكتاب فضائل المدينة في صحيح البخاري (٤/ ٩٧ - ١٣٢). وأبواب فضائل المدينة في صحيح مسلم كتاب الحج (٩/ ١٣٥ - ١٦٥ - النووي).

(٢) الإمام مالك بن أنس للشكعة ص ٨.

نعق ناعق تبعه الناس»[١].

وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان ابن مسعود يسأل بالعراق عن الشيء فيقول فيه، ثم يقدم المدينة فيجد الأمر علىٰ غير ما قال، فإذا رجع لم يحط راحلته ولم يدخل إلىٰ بيته حتىٰ يرجع إلىٰ ذلك الرجل فيخبره بذلك»[٢].

فنشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدينة مهد السنن وموطن الفتاوىٰ المأثورة، التي اجتمع بها الرعيل الأول من علماء الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ثم تلاميذهم من بعدهم، حتىٰ جاء مالك فوجد تلك التركة المثرية من العلم والحديث والفتاوىٰ، فنمت مواهبه تحت ظلها وجنىٰ من ثمرتها، وشدا بما تلقىٰ من رجالها[٣].

وفيما سيأتي -إن شاء الله- من ذكر طلبه للعلم وشيوخه وتأثره بهم، زيادة إيضاح وتبيين.

(١) ترتيب المدارك (١/ ١٩).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ١٩).

(٣) مالك لأبي زهرة ص ٢٤.

سادساً: طلبه للعلم واجتهاده في تحصيله

لقد ابتدأ إمام دار الهجرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلب العلم في سنٍ مبكرة ومما يدل علىٰ ذلك التالي:

ما تقدم من أن أمه رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ ألبسته ثياب العلم وألبسته ثيابًا مشمرة ووضعت الطويلة علىٰ رأسه وعممته وقالت له: اذهب إلىٰ ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه(١).

قول الزبيري: رأيت مالكًا في حلقة ربيعة وفي أذنه شنف(٢) وهذا يدل علىٰ ملازمته طلب العلم منذ صغره(٣).

وقد اجتهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سبيل تحصيل العلم اجتهاداً عظيماً وصبر في ذلك صبراً كثيراً ومما يدل علىٰ ذلك:

أنه قد اتخذ تباناً محشواً للجلوس علىٰ باب ابن هرمز(٤) يتقي به برد حجر.

وقيل برد صحن المسجد وفيه كان يجلس ابن هرمز(٥).

---

(١) انظر: ص٢٦.

(٢) الشنف: ما يعلَّق في أعلىٰ الأذن، انظر: غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٥٠٥).

(٣) المدارك (١/ ٥٥) والديباج ص ٦٣.

(٤) انظر ترجمته: في المبحث الخاص بتعداد شيوخه.

(٥) المدارك (١/ ٥٥) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (١/ ٢٨) وستأتي ترجمة ابن هرمز ص ٣٦.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنت آتي نافعًا[١] نصف النهار وما تظلني الشجرة من الشمس، أتحين خروجه فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أره ثم أتعرض له فأسلم عليه وأدعه، حتىٰ إذا دخل البلاط أقول له: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا؟ فيجيبني ثم أحبس عنه، وكان فيه حدة، وكنت آتي ابن هرمز من بكرة فما أخرج من بيته حتىٰ الليل»[٢].

وقد بلغ من حرصه علىٰ الانتفاع وعدم تضييع الوقت أنه كان يسعىٰ في طلب العلم حتىٰ في أيام العيد التي يستريح الناس فيها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شهدت العيد فقلت: هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب فانصرفت من المصلىٰ حتىٰ جلست علىٰ بابه، فسمعته يقول لجاريته: انظري من علىٰ الباب، فنظرت فسمعتها تقول: مولاك الأشقر مالك، قال: أدخليه، فدخلت فقال ما أراك بعد انصرفت إلىٰ منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئًا؟ قلت: لا، قال: فاطعم، قلت: لا حاجة لي فيه، قال: فما تريد؟ قلت تحدثني، فحدثني سبعة عشر حديثًا، ثم قال: وما ينفعك إن حدثتك ولا تحفظها؟ قلت إن شئت رددتها عليك، فرددتها عليه»[٣].

وكان يحمل معه خيطًا، وكلما سمع حديثًا من الشيخ، عقد عقدة، ليستعين بذلك علىٰ الحفظ.

وكان يتتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد، فقالت أخته لأبيه: هذا أخي لا يأوي مع الناس، قال: يا بنية، إنه يحفظ حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤].

---

(١) انظر ترجمته ص ٤١.

(٢) المدارك: (١/ ٥٥) والديباج ص ٦٣.

(٣) المدارك (١/ ٥٦).

(٤) المصدر السابق.

وقد تقدم ذكر انقطاعه لابن هرمز سبع أو ثمان سنين، وذلك عندما ألقىٰ عليه وعلىٰ أخيه والدهما سؤالاً فأخطأ في الإجابة عليه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنت أجعل في كفي تمراً، وأناوله صبيانه -يعني صبيان ابن هرمز- وأقول لهم إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا مشغول وقال ابن هرمز يومًا لجاريته من بالباب؟ فلم ترىٰ إلا مالكًا، فرجعت فقالت له: ما ثم إلا ذاك الأشقر، فقال لها: دعيه فذلك عالم الناس»[2].

ويلاحظ في سيرته في طلبه للعلم أنه لا يوجد ذكر لرحلات قام بها إلىٰ خارج المدينة ولا ذكر ذلك في كتب المتقدمين ممن ترجموا له حسب ما اطلعت عليه.

إلا أن بعض الذين ترجموا له من المعاصرين قد ذكروا أنه رحل في طلب العلم، منهم عبد الله السيد فقد قال في ترجمته: وقد ارتوىٰ من علم المدينة وفقهها، فحدثته نفسه برحلة إلىٰ ما وراء الحجاز، فسافر إلىٰ البصرة وخراسان والشام، وذهب إلىٰ مكة في موسم الحج، ولكن حن إلىٰ المدينة فعاد إليها ولزمها ولم يغادرها بعد أن علم أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[3].

إلا أن أمين الخولي ذكر أنه لم يعثر علىٰ خبر رحلة للإمام مالك خارج الحجاز حيث قال: لم أعثر علىٰ خبر رحلة له خارج الحجاز أيام طلبه للعلم، ولا بعد هذا العهد.. ثم ذكر ما يؤيد عدم خروجه من المدينة[4].

---

(١) انظر ص ١٤.

(٢) المدارك (١/ ٥٥).

(٣) تقدم تخريجه ص١٢.

(٤) انظر: مالك بن أنس لأمين الخولي ص ١٠٤ - ١٠٦.

وإن من أوسع من ترجم للإمام مالك من المتقدمين، واستفاد ممن سبقه في ترجمته، القاضي عياض في ترتيب المدارك، ومع ذلك لم يذكر شيئًا عن رحلاته في طلب العلم[1] قلت بل قبل القاضي عياض، الإمام ابن عبد البر في الانتقاء، فلم يذكر له رحلة كذلك ولا الذهبي بعدهما في السير، وهو ممن توسع في ترجمته.

ومع أن الرحلة هي من أعظم الوسائل لطلب العلم والحديث، إلا أن مالكًا لم يحتج إليها وذلك بوفرة أهل العلم في المدينة وبكثرة الرواية ونشأته في مدينة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ التي هي مقر العلم والعلماء والرحلة إليها[2]

ولم يكن حرص الإمام مالك علىٰ طلب العلم وصبره علىٰ ذلك وإخلاص النية لله وحده ومكانة أسرته العلمية ونشأته في مهاجر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يكن كل هذه الأمور هي السبب الوحيد لأن يكون الإمام مالك إمامًا ومعلمًا بل كانت أسباب أخرىٰ -بعد توفيق الله تعالىٰ- جعلته يبلغ في العلم مبلغًا عظيمًا، ومن أهم هذه الأسباب[3]:

١- عدم تلقي العلم وسماع الحديث إلا من أهله، وتحريه عن حال الرجال وانتقاده لهم.

وذلك لأن العلم دين ولابد لمن يريد معرفة دينه أن يأخذه عن ثقة[4].

---

(١) منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص ٢٦.

(٢) انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي الفاسي (٢/ ٣٨٣).

(٣) وقد أفدت هذه الأسباب من الكتاب القيم: منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص٢٧ وما بعدها

(٤) انظر: المحدث الفاصل للرامهرمزي (ص ٤٠٣ - ٤١٦). والمدارك (١/ ٥٧).

قال الإمام محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»(١).

قال ابن أبي أويس: «سمعت خالي مالك بن أنس يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الأساطين، وأشار إلىٰ المسجد، فما أخذت عن أحدهم شيئًا، وإن أحدهم لو ائتمن علىٰ بيت مال لكان أمينـًا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أدركت بهذه البلدة أقوامًا لو استسقىٰ بهم القطر لسقوا، قد سمعوا العلم والحديث كثيراً، ما حدثت عن أحدٍ منهم شيئًا، لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن -يعني الحديث والفتيا- يحتاج إلىٰ رجل معه تقوىٰ وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غداً. فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنه»(٣).

كذلك فإنه قد بين أن العلم لا يؤخذ من أربعة: فلا يؤخذ من سفيه ولا من صاحب هوىٰ يدعو الناس إلىٰ هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم علىٰ أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث(٤)

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/ ٨٤).

(٢) الانتقاء ص ٤٦، التمهيد (١/ ٦٧) وذكره القاضي عياض في المدارك (١/ ٥٧).

(٣) المدارك: (١/ ٥٧).

(٤) رواه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٦٦ - ٦٧) والانتقاء ص ٤٦ وذكره كل من الزواوي في مناقب

وقال الشافعي: «كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله»[1].

وقال ابن عبد البر: «فَعُلِمَ أن مالكًا كان من أشد الناس تركًا لشذوذ العلم، وأشدهم انتقاداً للرجال، وأقلهم تكلفًا، وأتقنهم حفظًا، فلذلك صار إمامًا»[2].

وقال الذهبي: «وقد كان مالكًا إمامًا في نقد الرجال، حافظًا مجوِّداً، متقنًا. قال بشر بن عُمر: سألت مالكًا عن رجل، فقال: هل رأيته في كتبي؟ قلت لا، قال: لو كان ثقة لرأيته في كتبي».

قال الذهبي: «فهذا القول يعطيك بأنه لا يروي إلا عمن هو عنده ثقة، ولا يلزم من ذلك أنه يروي عن كل الثقات، ثم لا يلزم مما قال: أن كل من روىٰ عنه، وهو عنده ثقة، أو يكون ثقة عند باقي الحفاظ، فقد يخفىٰ عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره، إلا أنه بكل حال كثير التحري في نقد الرجال، رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[3].

قلت: فلذلك عدَّ كثير من أهل العلم -ومنهم أمير المؤمنين في الحديث أبوعبد الله محمد بن إسماعيل البخاري- رواية مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي أصح الأسانيد ولقبت بالسلسلة الذهبية[4].

مالك ص ١٥١، والتلمساني في نفح الطيب (٢/ ٥٠٧).

(١) التمهيد (١/ ٦٣) والانتقاء ص ٥٥، والحلية (٦/ ٣٢٢).

(٢) التمهيد (١/ ٧١)، وانظر: إسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي ص ٣ - ٤.

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧١ - ٧٢) وانظر: الانتقاء ص ٤٧ وشرح النووي لصحيح مسلم (١/ ١٢٠).

(٤) انظر: مقدمة ابن الصلاح، مع شرحها التقييد والإيضاح ص ٢٣، والسير (٥/ ٩٧).

٢- سرعة حفظه مع الإتقان والضبط:

كان من الأسباب التي جعلت من الإمام مالك إمامًا بحق في العلم والحديث ما وهبه الله تعالىٰ من سرعة الحفظ والإتقان وجودة الضبط ومما يدل علىٰ ذلك:

قول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قدم علينا الزهري، فأتيناه ومعه ربيعة، فحدثنا نيفًا وأربعين حديثًا، ثم أتيناه الغد، فقال: انظروا كتابًا حتىٰ أحدثكم منه، أرأيتم ما حدَّثتكم به أمس، أي شيء في أيديكم منه؟ قال: فقال له ربيعة: ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس، قال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامر، قال: هات، قال: فحدثته بأربعين حديثًا منها، فقال الزهري: ما كنت أرىٰ أنه بقي أحد يحفظ هذا غيري»[(١)].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ «حدَّثنا ابن شهاب ببضعة وأربعين حديثًا، ثم قال: أعدها عليَّ، فأعدت عليه أربعين حديثًا وأسقطت البضعة»[(٢)].

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه أتىٰ ابن شهاب في يوم العيد بعد انصراف الناس وأخذ منه سبعة عشر حديثًا، ثم ردَّها عليه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

قول ابن نزار الأيلي: «ما رأيت أحداً أنزع بكتاب الله - عَزَّوَجَلَّ-من مالك بن أنس»[(٣)].

---

(١) التمهيد (١/ ٧١) والانتقاء ص ٤٩، المدارك (١/ ٥٦)، السير (٨/ ٧٢)، مناقب مالك للزواوي ص ٩٤.

(٢) التمهيد (١/ ٧١) والانتقاء ص ٥٠، والسير (٨/ ٧٢).

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٨).

والأمثلة في ذلك كثيرة، وأكتفي بما ذكر وبه يحصل المقصود[1].

٣ - تعظيمه وإجلاله لحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمله به:

لقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثالاً يُقتدىٰ به في إجلال حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه له، واتباع السنة والعمل بما علمه من العلم، وتطبيق ما جاء في الكتاب والسنة والذب عنهما، وكان مثالاً يُقتدىٰ به في محبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسير علىٰ منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والدفاع عنهم.

ومما يدل علىٰ ذلك، علىٰ سبيل المثال:

أنه سئل عن سماعه من عمرو بن دينار[2] فقال: رأيته يحدث والناس قيام يكتبون فكرهت أن أكتب حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا قائم وما ذلك إلا إجلالاً وتعظيماً لحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد مرَّ مالك بأبي الزناد[3] وهو يحدث فلم يجلس إليه، فلقيه بعد ذلك، فقال له: ما منعك أن تجلس إليَّ؟ قال: كان الموضع ضيقاً.

---

(١) وانظر للاستزادة في ذلك: المدارك (١/ ٥٥ - ٥٦) والانتقاء ص ٤٩ - ٥٠، والديباج ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) هو أبو محمد عمرو بن دينار الجمحي المكي الأثرم، شيخ الحرم في زمانه الإمام المحدث الفقيه الزاهد من التابعين سمع من ابن عباس وجابر وابن عمر وأنس وعبد الله بن جعفر.. وعنه ابن أبي مليكة وقتادة والزهري وسفيان الثوري والحمادان. ولد في إمرة معاوية سنة ٤٥ هـ وقيل ٤٦ هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠).

(٣) هو أبو عبد الرحمن بن ذكوان القرشي المدني ويلقب بأبي الزناد، إمام حافظ مجتهد محدث من التابعين أخذ عن أنس وأبي أمامة وعروة وابن المسيب والأعرج.. وعنه ابن أبي مليكة وابنه عبد الرحمن وموسىٰ بن عقبة ومالك والليث.. ولد سنة ٦٥ هـ وتوفي سنة ١٣٠ هـ وقيل ١٣١ هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٤٥).

وكذا هو يجل حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيام الطلب وبعد أن جلس للتدريس، يقول القاضي عياض: «قال ابن أبي أويس: كان إذا جلس للحديث - يعني مالكًا - قال: ولم يكن يجلس علىٰ المنصة إلا إذا حدَّث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال أبو مصعب: كان مالك لا يحدث إلا علىٰ وضوء إجلالاً منه لحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا سئل الحديث توضأ وتهيأ ولبس ثيابه فقيل له في ذلك. فقال: إنه حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد كان في مجلس يحدث فلدغته عقربة ستة عشر مرة حتىٰ تغير لونه وتفرق الناس وسئل عن صبره في ذلك فقال: إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

ومما يدل علىٰ عمله بعلمه ولو خالف ما كان عليه أولاً: أن عبد الله بن وهب قال: «سمعت مالكًا سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء، فقال: ليس ذلك علىٰ الناس، قال: فتركته حتىٰ خف الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة، فقال: ما هي؟ قلت: حدثنا.. ثم ساق السند إلىٰ أن قال: عن المستور بن شداد القرشي، قال: رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه. فقال: إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة، ثم سمعته بعد ذلك يسأل، فيأمر بتخليل الأصابع»(٢).

(١) المدارك (١/ ٥٦ - ٥٧).

(٢) انظر: الجرح والتعديل (١/ ٣١ - ٣٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما جلست إلىٰ عالم فرجعت من مجلسه حتىٰ أحفظ كل حديث سمعته منه ولا رجعت إلىٰ مجلسه، حتىٰ أعامل الله بكل حديث سمعته منه»(١).

وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «سنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وولاة الأمر بعده سننـًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة علىٰ دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدىٰ بها، فهو مهتد، ومن استنصر بها، فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولىٰ، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»(٢).

فهذه وغيرها، هي الأسباب التي وفق الله تعالىٰ إليها -بمنِّه وكرمه- الإمام مالكـًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليكون عالم المدينة ومفتي دار الهجرة في زمانه وليبقىٰ علمه بين المسلمين، ينتفعون به وينهلون منه، إلىٰ ما شاء الله تعالىٰ -

بل تتعدد الدراسات وتكتب الرسائل العلمية في هذا الزمان في المجالات المختلفة مما ورَّثه هذا الإمام لخير أمة أخرجت للأنام - فرحمه الله رحمة واسعة ورفع درجته في المهديين، وجعلنا ممن يعرفون له حقه وقدره ويقتدون به فهو بحق إمام يُقتدىٰ به قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة السجدة: ٢٤].

(١) رواه ابن ناصر الدين في إتحاف السالك (مخطوط)، وقد أفدت ذلك من كتاب: منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٨) والحلية (٦/ ٣٢٤).

سابعاً: شيوخه

تلقىٰ الإمام مالك العلم عن عدد كثير من المشايخ والعلماء، وقد ذكر بعض العلماء أنهم بلغوا تسعمائة شيخ فأكثر[١] وقد ذكر الإمام الذهبي في السير أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم الإمام مالك، وإلىٰ جانب كل واحد منهم عدد ما روىٰ عنه في الموطأ، فبلغ العدد (١٣٥ شيخًا)[٢].

وفيما يلي ذكر لأبرز شيوخه الذين أخذ عنهم وأكثر من ذكرهم، وهم:

١ – ابن هرمز:

واسمه عبد الله بن يزيد بن هرمز المخزومي المدني، المقرئ، الأصم[٣].

وهو من الشيوخ الذين أكثر الإمام مالك من ملازمتهم، وقد روي أنه ممن لازمه في بداية طلبه للعلم سبع سنين أو ثمان لم يخلطه بغيره ولقد كان ملازمًا له حتىٰ قال: «كنت آتيه بكرة فما أخرج من بيته حتىٰ الليل»[٤].

وقد قال الإمام مالك: كنت أحب أن أقتدي به، وكان قليل الفتيا شديد التحفظ، كثيراً ما يفتي الرجل ثم يبعث من يرده، ثم يخبره بغير ما أفتاه، وكان بصيراً بأهل الكلام والبدع ويرد علىٰ أهل الأهواء[٥].

---

(١) انظر: شرح الموطأ للزرقاني (١/ ٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩ – ٥٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٧٩) وتهذيب التهذيب (٦/ ٨٢).

(٤) المدارك (١/ ٥٥).

(٥) السير (٦/ ٣٧٩).

ولذلك فقد ورث الإمام مالك منه قول: (لا أدري)[1].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يكن أحد بالمدينة، له شرف، إلا إذا ضربه أمر رجع إلىٰ ابن هرمز».

وقال: «جلست إلىٰ ابن هرمز ثلاث عشرة سنة، واستحلفني أن لا أذكر اسمه في الحديث»[2].

وعداده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التابعين وتوفي سنة ١٤٨ هـ[3].

٢- ربيعة بن أبي عبد الرحمن:

وهو أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن -واسمه فروخ- القرشي التيمي مولاهم. المشهور بربيعة الرأي من موالي آل المنكدر.

روىٰ عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد وسعيد بن المسيب وغيرهم[4].

قال مصعب الزبيري: «كان يقال له ربيعة الرأي، وكان صاحب الفتوىٰ بالمدينة، وكان يجلس إليه وجوه الناس، كان يحصىٰ في مجلسه أربعون معتمًا»[5].

---

(١) انظر: الانتقاء ص ٧٥ - ٧٦، والسير (٨/ ٧٧) وقال ابن عبد البر: صح عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لا أدري نصف العلم».

(٢) السير (٦/ ٣٨٠).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٣٧٩ - ٣٨٠).

(٤) المصدر السابق (٦/ ٨٩) وتقريب التهذيب ص ٢٠٧.

(٥) السير (٦/ ٩١).

وقد جلس الإمام مالك للأخذ عنه صغيراً، وقد تقدم ذكر أمر أمه له بالجلوس في حلقة ربيعة وأن يأخذ من أدبه قبل علمه(١).

ولذلك يذكر أن ربيعة هو أول شيخ للإمام مالك، إلا أن روايات أخرىٰ تذكر أنه لازم ابن هرمز صغيراً وأن ملازمته له استمرت سبع أو ثمان سنين لم يخالطه بغيره، والتوفيق بين ذلك بأن يقال: إن الظاهر أن الإمام مالكًا ذهب إلىٰ مجلس ربيعة في بواكير أيامه في طلب العلم، ورأىٰ أبوه وهو صغير أن استفادته منه كانت محدودة، فاتجه إلىٰ ابن هرمز، ولازمه حتىٰ أخذا كثيراً مما عنده، ونضج عقله، وقوي علىٰ هضم علم ربيعة وطريقته في الفقه فجلس إليه واستمع منه(٢).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذهبت حلاوة الفقه، منذ مات ربيعة ابن أبي عبد الرحمن»(٣).

وقد تقدم ذكر إشارة ربيعة للإمام مالك وثنائه عليه وبالأخص في قوة حفظه.

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا نجلس إلىٰ ربيعة أربعين معتمًا سوىٰ من لا يعتم..»(٤).

وقد كان الإمام مالك يجل شيخه ربيعة كل الإجلال، فهو لا يتكلم في مجلسه، ولا يبادر بالجواب إذا سئل.

---

(١) انظر ص١٧.

(٢) انظر: مالك لأبي زهرة ص ٩٠.

(٣) السير (٦/ ٩٣).

(٤) المدارك (١/ ٦٠ – ٦١).

وكان يستشيره في كثير من الأمور.

فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أفتيت حتىٰ سألت هل أنا للفتيا موضع». فلما قيل له من سألت؟ قال: «الزهري وربيعة الرأي»(١).

قال عبد العزيز بن أبي سلمة: «لما جئت العراق جاءني أهل العراق، فقالوا: حدثنا عن ربيعة الرأي، فقلت: يا أهل العراق تقولون ربيعة الرأي، والله ما رأيت أحداً أحفظ لسنة منه»(٢).

«وكان يطلق عليه ربيعة الرأي لكثرة آرائه الفقهية، ومما قاله هو بنفسه في ذلك: «رأيت الرأي أهون من تبعة الحديث»(٣).

قال أبو بكر الخطيب: «كان ربيعة فقيهاً عالماً، حافظاً للفقه والحديث»(٤)

وقال الذهبي: «كان ربيعة إماماً حافظاً فقيهاً مجتهداً بصيراً بالرأي، وكان من أول الفقهاء الذين جلس إليهم مالك وتأثر بهم»(٥).

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٣٦ هـ(٦).

---

(١) المدارك (١/ ٥٩).

(٢) السير (٦/ ٩٢).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٩٠).

(٤) المصدر السابق (٦/ ٩٣).

(٥) تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٧).

(٦) السير (٦/ ٩٣).

٣- ابن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري المدني.

من صغار التابعين روىٰ عن ابن عمر وجابر بن عبد الله شيئًا قليلاً، ويحتمل أن يكون رأىٰ أبا هريرة وغيره، فقد ولد سنة ٥٠ هـ وقيل ٥١ هـ[١].

قال أبو الزناد: «قال أبي: كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع، فلما احتيج إليه، علمت أنه أعلم الناس، وبصر عيني به ومعه ألواح أو صحف يكتب فيها الحديث، وهو يتعلم يومئذٍ».

وقال الزهري: «ما استودعت قلبي شيئًا قط فنسيته». وكان يكره أكل التفاح، وكان يشرب العسل، ويقول: «إنه يُذَكِّر»[٢].

قال إمام دار الهجرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدَّث الزهري يومـًا بحديث، فلما قام قمت فأخذت بعنان دابته، فاستفهمته، فقال: تستفهمني؟ ما استفهمت عالمـًا قط، ولا رددت شيئًا علىٰ عالم قط».

وقال عمر بن عبد العزيز: «عليكم بابن شهاب هذا فإنكم لا تلقون أحداً أعلم بالسُّنة الماضية منه»[٣]

قلت: ولذلك لازمه الإمام مالك كثيراً وأخذ عنه، بل - ما سبق ذكره-

---

(١) السير (٥/ ٣٢٦).

(٢) المدارك (١/ ٥٦)، والسير (٥/ ٣٣٢).

(٣) المصدرين السابقين.

أنه كان يأتيه حتىٰ في وقت راحته وأيام العيد، وما ذلك إلا لما رأىٰ من علمه وأهليته، وفي ذلك يقول الإمام مالك: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت في المسجد سبعين ممن يقول: قال فلان، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن أحدهم لو ائتمن علىٰ بيت مال لكان به أمينًا، فما أخذت منه شيئًا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ويقدُم علينا الزهري وهو شاب فنزدحم علىٰ بابه»[1].

وقد أثنىٰ عليه شيخه الزهري، وعدَّه من أوعية العلم. وقد كان الإمام مالك يجله ويعظمه وقد استشاره في التدريس والفتيا.

وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٢٤ هـ[2].

٤- نافع المدني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أبو عبد الله نافع القرشي ثم العدوي ثم العمري الإمام المفتي عالم المدينة، مولىٰ ابن عمر روىٰ عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهم، وروىٰ عنه خلق كثير منهم الزهري. وهو من أئمة التابعين[3].

وقد لازمه الإمام مالك كثيراً وأخذ من علمه وكان يقول: «كنت إذا سمعت من نافع يحدث عن ابن عمر لا أبالي ألاَّ أسمعه من غيره».

وقد كان الإمام مالك يأتيه في صغره ويتكبَّد المشاق في ذلك حيث يأتيه

(١) المدارك (١/ ٥٧) والسير (٥/ ٣٤٣).

(٢) تهذيب التهذيب (٩/ ٤٥١) والتقريب ص ٥٠٦.

(٣) السير (٥/ ٩٥) والتهذيب (٩/ ٤٤٥).

في حر الهجيرة ويتحيَّل لسؤاله كما تقدم[1] وكان يقوده من منزله إلىٰ المسجد ويسأله وذلك عندما كف بصره[2].

وقد بعثه عمر بن عبد العزيز إلىٰ أهل مصر ليعلمهم السنن[3]، وكان أهل العلم يقولون: أثبت الناس في ابن عمر نافع وأثبتهم في نافع مالك بل -كما تقدم-؛ فقد وُصفت هذه السلسلة بالسلسلة الذهبية وهي أصح الأسانيد عند الإمام البخاري وغيره[4].

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١١٧ هـ[5].

فهؤلاء هم أكثر الشيوخ الذين أخذ عنهم الإمام مالك وتأثر بهم تأثراً واضحـًا، وأكثر من ذكرهم، وقد خصَّهم بالذكر كثير ممن ترجم للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلذلك اكتفيت بالترجمة لهم[6].

(١) انظر: ص ٢٧.

(٢) المدارك (١/ ٥٥).

(٣) السير (٥/ ٩٧).

(٤) انظر: ص٣١ . وزاد بعضهم: إذا اتصل بها الشافعي، فتكون الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. انظر مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص٢٣.

(٥) السير (٥/ ١٠١).

(٦) منهم الدكتور سعود الدعجان حفظه الله في كتابه منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة.

ثامناً: تلاميذه

تتلمذ على الإمام مالك وروى عنه الموطأ كثيرون، فقد تتلمذ على يديه خلق كثير جداً ومن أقطار متباعدة، فله تلاميذ من خراسان ومن العراق ومن الشام، وأكثر تلاميذه من المدينة ومصر وشمال أفريقية وبلاد المغرب.

ولعل السبب في تلك الكثرة، أن الإمام مالكًا كانت إقامته بالمدينة النبوية، ولم يرحل عنها إلا حاجًا ولم يعرف أنه ابتعد عنها، وكان الناس ولا يزالون يقصدون المدينة من كل فج عميق زائرين لمسجد نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فكان ذلك سببًا لالتقاء أهل العلم به والطالبون له من كل الأقطار الإسلامية وقد كثروا، ثم إنه قد بارك الله له بطول العمر، فعمَّر نحو ست وثمانين سنة، وأخذ يلقي دروسًا فيما يقارب من الستين سنة فكان هذا سببًا آخر لكثرة تلاميذه وتباعد أقطارهم[1].

وقد كان من ضمن من روى عن الإمام مالك بعض شيوخه[2] وكثير من أقرانه[3].

(١) مالك لأبي زهرة ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) مثل: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأيوب السختياني ويحيى بن سعيد الأنصاري البخاري وهشام بن عروة بن الزبير وعمه أبو سهيل ويحيى بن أبي كثير وزيد بن عبد الله بن قسيط وزيد بن أبي أنيسة وعمر بن محمد بن زيد. **انظر**: المدارك (١/ ١٤١) والسير (٨/ ٥٢) وقد ذكر القاضي عياض الأحاديث التي رووها، وهي أحاديث قليلة جداً، بل بعضهم روى عنه حديثًا واحداً. وكذلك الذهبي، فقد فصَّل وأفاد وأجاد - كما في السير - (٨/ ١١٥ - ١٣٠).

(٣) منهم: معمر وابن جريج وأبو حنيفة والأوزاعي وشعبة والثوري والليث بن سعد وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع والوليد بن مسلم وإبراهيم بن طهمان. انظر: المدارك (١/ ١٤٢ - ١٤٣) والسير (٨/ ٥٢ - ٥٤).

وقد صنَّف الخطيب البغدادي(١) مؤلفاً خاصاً بالرواة عن مالك، فعد منهم (٩٩٣ رجلاً)(٢) أما القاضي عياض فقد عدَّ منهم (١٣٠٠ رجلاً) وذكر المشهورين منهم وترجم لهم ورتبهم علىٰ البلدان وبيَّن طبقاتهم، وذلك في «ترتيب المدارك»(٣) وعدَّ منهم الذهبي في «السير» (١٢٦ رجلاً)(٤) وألَّف السيوطي كتاباً سماه «تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك» ذكر فيه أسماء الرواة الذين ذكرهم الخطيب البغدادي ورتَّبهم علىٰ حروف المعجم، وعددهم (٩٦٠ رجلاً) وقد استدرك علىٰ الخطيب أسماء كثيرة لم يذكرها في كتابه.

وللسيوطي -أيضاً- كتاب آخر واسمه «إسعاف المبطأ برجال الموطأ» ترجم فيه للرواة الوارد ذكرهم في الموطأ بدون استثناء(٥).

وفيما يلي فإني أترجم لبعض تلاميذه المشهورين وأحيل إلىٰ المراجع التي وقفت عليها في العناية بترجمة تلاميذ الإمام -رحمهم الله تعالىٰ جميعاً-:

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المشهور بالخطيب، إمام حافظ محدث مؤرخ فقيه، أخذ عن أبي عمر الفارسي وأبي الفضل التميمي وإبراهيم الباقرجي.. وعنه أبو بكر البرقاني وأبو نصر بن ماكولا وهبة الله الأكفاني.. مصنفاته عديدة منها «شرف أصحاب الحديث» و«الجامع» و«الكفاية» و«تاريخ بغداد» و«الرحلة» و«الرواة عن مالك» و«الفقيه والمتفقه» وغيرها، ولد سنة ٣٩٢ هـ وتوفي سنة ٤٦٣ هـ وهي السنة التي مات فيها ابن عبد البر فكان يقال: في هذه السنة توفي حافظ المشرق وحافظ المغرب. انظر: السير (١٨/ ٢٧٠) و(٨/ ١١٥ - ١٣٠).

(٢) تزيين الممالك للسيوطي ص ١٨.

(٣) (١/ ١٤٠) وما بعدها.

(٤) (٨/ ٤٩ - ٥٤) و(٨/ ١١٥ - ١٣٠).

(٥) منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص ٤٢.

١ – الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد تقدم ذكر شيء من ترجمته، وسأشير فيما يلي فيما يتعلق بصلته بالإمام مالك وأخذه عنه وما قال كل منهما في الآخر.

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد الهاشمي المطلبي ويجتمع مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عبد مناف بن قصي وقد ولد سنة ١٥٠ هـ.

وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة [١] -رحمهما الله تعالىٰ- .

وقد تتلمذ علىٰ يد الإمام مالك، قال: «أتيت مالكـًا وقد حفظت «الموطأ» فقال لي: اطلب من يقرأ لك، فقلت: لا عليك أن تسمع قراءتي، فإن خفَّت عليك، وإلا طلبت من يقرأ لي، فقال لي: اقرأ، فقرأت فأعجبه ذلك، وقال: اقرأ، فقرأت عليه «الموطأ» من أوله إلىٰ آخره»[٢].

ويذكر الذهبي أن عمر الإمام الشافعي إذ ذاك ثلاثة عشرة سنة[٣].

ومما قاله الشافعي في شيخه مالك: «إذا جاءك الأثر من مالك فشد به يدك»، وقال: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم، ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك لحفظه وإتقانه وصيانته ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك».

وكان يقول: «مالك بن أنس معلمي -وفي رواية أستاذي- وما أحد أمنّ علي من مالك، وعنه أخذنا العلم وإنما أنا غلام من غلمان مالك».

---

(١) الانتقاء ص ١١٥، المدارك (١/ ٢٢١)، السير (١٠/ ٥)، والديباج ص ٣٢٦.

(٢) الانتقاء ص ١١٨، والسير (١٠/ ١٢).

(٣) السير (١٠/ ١٢).

وقال: «جعلت مالكـًا حجة فيما بيني وبين الله»، وكان إذا سئل، يقول: «هذا قول الأستاذ يريد مالكـًا»[1].

وقال: «ما في الأرض كتابٌ في العلم أكثر صوابـًا من «موطأ مالك»»[2].

وبيَّن الشافعي قصته في قدومه علىٰ الإمام مالك فقال: «لما رجعت إلىٰ مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمرَّ بي رجل من الزبيريين، فقال لي: يا أبا عبد الله عزَّ عليَّ ألا يكون مع هذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سُدْت أهل زمانك؟ فقلت: ومن بقي يقصد؟ فقال لي هذا مالك سيد المسلمين يومئذٍ. فوقع في قلبي وعدت إلىٰ «الموطأ» فاستعرته وحفظته في تسع ليالٍ»[3].

وقد كان الإمام مالك يثني علىٰ فهمه وحفظه، ووصله بهدية جزيلة، لمَّا رحل عنه[4].

وقد أثنىٰ العلماء عليه كثيراً وانتشر مذهبه في الآفاق، يقول الذهبي في ترجمته: «الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة». وقال: «وصنَّف التصانيف، ودوَّن العلم، وردَّ علىٰ الأئمة متبعـًا الأثر، وصنَّف في أصول الفقه وفروعه، وبعُدَ صيته وتكاثر عليه الطلبة»[5].

---

(١) المدارك (١/ ٦٢) والديباج ص ٣٢٦ – ٣٢٧.

(٢) السير (٨/ ١١١).

(٣) المدارك (١/ ٢٢٢)، الديباج ص ٣٢٧.

(٤) الديباج ص ٣٢٧.

(٥) السير (١٠/ ٥ – ٦).

وقال الإمام أحمد: «ما أحد يحمل محبرة من أصحاب الحديث إلا وللشافعي عليه سُنَّة». وقال: «ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتىٰ جالسته»، وقال: «كان الشافعي للعلم كالشمس للدنيا والعافية للناس، فانظر هل من هذا عِوض»[(١)]

وقال: «ما رأيت أحداً أَتْبَعُ للأثر من الشافعي»[(٢)].

وهو أول من صنَّف في أصول الفقه وهو كتابه المسمىٰ: «الرسالة» وقد جاء في نظم مراقي السعود[(٣)]:

أول من ألفه في الكتب ... محمد بن شافع المطلبي

ومن مؤلفاته كتاب «الأم» و«جماع العلم».

وكان بعض أهل العلم يقول: «كفىٰ الشافعي شرفًا أن مالكًا شيخه، وكفىٰ مالكٌ شرفًا أن الشافعي تلميذه»[(٤)]

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٠٤ هـ[(٥)].

(١) الديباج، ص ٣٢٨.

(٢) السير (١٠/ ٨٧).

(٣) مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود ص ٨.

(٤) ونسب القول لابن الأثير، انظر: منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص ٤٢.

(٥) الانتقاء ص ١٦٠ والديباج ص ٣٢٩، ومن تلاميذه الحميدي والقاسم بن سلام والإمام أحمد وعبد العزيز الكناني والكرابيسي وإسحق بن راهويه وأبي ثور انظر: السير (١٠/ ٧ – ٨).

٢ – عبد الله بن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري المصري مولاهم الإمام الحافظ، ولد سنة ١٢٥ هـ وقيل ١٢٤ هـ وهي السنة التي مات فيها ابن شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١].

وقد طلب العلم وعمره سبعة عشر سنة [٢] وأخذ عن جمٍّ غفير من أهل العلم، قال بعضهم: إنهم أربعمائة [٣].

وقال الذهبي: «لقي بعض صغار التابعين، وكان من أوعية العلم وكنوز العمل» [٤].

وقد تتلمذ علىٰ يد الإمام مالك، وقال في ذلك: «صحبت مالكًا عشرين سنة» [٥] وكان يقول: «لولا مالك لضللت» [٦] ولم يكن الإمام مالك يتكلم بشيء إلا وكتبه ابن وهب [٧].

ولم يكن الإمام مالك يكتب لأحد بالفقيه سوىٰ ابن وهب.

وكان يكتب إليه: إلىٰ عبد الله بن وهب فقيه مصر وإلىٰ أبي محمد المفتي، ولم يفعل هذا لغيره [٨].

---

(١) الانتقاء ص ٩٢، والسير (٩/ ٢٢٣) والديباج ص ٢١٣.

(٢) السير (٩/ ٢٢٣).

(٣) الديباج ص ٢١٥.

(٤) السير (٩/ ٢٢٤).

(٥) الديباج ص ٢١٥.

(٦) المدارك (١/ ٢٤٤)، السير (٨/ ١١١).

(٧) المدارك (١/ ٢٤٥).

(٨) الانتقاء ص ٩٤، المدارك (١/ ٢٤٤)، والسير (٩/ ٢٢٧) والديباج ص ٢١٥.

وقال: «ابن وهب عالم وإمام»، وكان يُسمىٰ ديوان العلم، وما من أحد إلا زجره مالك إلا ابن وهب فإنه كان يعظمه ويحبه[(١)].

وقد روىٰ عنه بعض شيوخه، وقيل: إن الإمام مالكـًا روىٰ عنه حديث العربون، حيث لم يسم مالك عمن أخذه إنما قال: عن الثقة عندي[(٢)].

وقال عنه الإمام أحمد: «ابن وهب عالم صالح فقيه كثير العلم، صحيح الحديث، ثقة صدوق، يفصِّل السماع من العرض، والحديث من الحديث، ما أصح حديثه!»[(٣)]

ومما يدل علىٰ صلاحه وتقواه، أنه قال: «نذرت أني كلما اغتبت إنسانـًا أن أصوم يومـًا، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنسانـًا أن أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركت الغيبة»[(٤)].

وقد علَّق الذهبي علىٰ هذا الأثر فقال: «قلت: هكذا والله كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النافع»[(٥)].

وألّف التصانيف العديدة ذات المنفعة العظيمة منها: «الموطأ الكبير» و«الجامع» و«الأحوال» وبعضهم يضيفه إلىٰ جامعه، و«تفسير غريب الموطأ» و«المناسك» و«البيعة» و«الردة» و«المغازي».

---

(١) الديباج ص ٢١٥.

(٢) الانتقاء ص ٩٣.

(٣) المدارك (١/ ٢٤٥)، والديباج ص٢١٥

(٤) المدارك (١/ ٢٤٩)، السير (٩/ ٢٢٨) والديباج ص ٢١٧.

(٥) السير (٩/ ٢٢٨).

ومات بمصر سنة ١٩٧هـ، وسبب موته أنه قُرئ عليه كتاب «الأهوال» من جامعه، فأخذه شيء كالغشي، فحُمل إلىٰ داره، فلم يزل كذلك إلىٰ أن قضىٰ نحبه[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

٣ - عبد الرحمن بن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصري مولىٰ زُبيد بن الحارث العتقي.

إمام فقيه ورع عالم، تلميذ وصاحب للإمام مالك[٢]. ولد سنة ١٢٨هـ وتتلمذ وأخذ الحديث عن المصريين وأحب دراسة الفقه فاستشار وأُشير إليه بعالم المدينة ومفتيها فسافر إليه ولحق به وحُكي أنه أنفق في ذلك ألف مثقال[٣].

ولازم الإمام مالكاً كثيراً، وقال: كنت أسمع من مالك كل يوم غلساً[٤] إذا خرج من المسجد ثلاثة أحاديث، سوىٰ ما أسمع من الناس معه بالنهار. وفي رواية: كنت آتي مالكاً غلساً، فأسأله عن مسألتين ثلاثة أربعة وكنت أجد منه في ذلك الوقت انشراح الصدر[٥] وقد لازم الإمام مالكاً سبع عشرة سنة[٦]

---

(١) الانتقاء ص ٩٤، المدارك (١/ ٢٤٩) والديباج ص ٢١٦، ومن تلاميذه أصبغ وعبد الله بن صالح وأحمد التستري وحرملة والحارث بن مسكين ويحيىٰ بن يحيىٰ الليثي ويونس بن عبد الأعلىٰ ومحمد بن الحكم. انظر: السير (٩/ ٢٢٤).

(٢) الانتقاء ص ٩٤ والمدارك (١/ ٢٥٠)، والسير (٩/ ١٢٠) والديباج ص ٢٣٩.

(٣) المدارك (١/ ٢٥٢).

(٤) الغلس هو آخر الليل، انظر: مختار الصحاح ص ٤٧٨.

(٥) المصدر السابق (١/ ٢٥٣).

(٦) السير (٩/ ١٢١).

وقيل عشرين سنة[1].

ولذلك أخذ علمًا جمًا وحُظي بثناء بالغ من شيخه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومما ورد في ذلك أنه ذكر عند الإمام مالك فقال: «عافاه الله مَثَله كمثل جراب مملوء مسكًا»[2].

وسئل عنه فقال: «ابن القاسم فقيه»[3].

واستحق بذلك أن ينال شهادة أهل العلم في صحة نقله عن الإمام مالك ودقته وضبطه، ومما نقل عنه في ذلك:

قال النسائي[4]: «ابن القاسم ثقة رجل صالح، سبحان الله ما أحسن حديثه وأصحه عن مالك، ليس يختلف في كلمة، ولم يرو أحدٌ الموطأ عن مالك أثبت من ابن القاسم، وليس أحد من أصحاب مالك عندي مثله، قيل له: فأشهب؟ قال: ولا أشهب ولا غيره، هو عجب من العجب: الفضل والزهد، وصحة الرواية وحسن الدراية، وحسن الحديث، حديثه يشهد له»[5].

وقال ابن وهب لأبي ثابت: «إن أردت هذا الشأن - يعني فقه مالك - فعليك بابن القاسم، فإنه انفرد به وانشغلنا بغيره»[6].

---

(١) المدارك (١/ ٢٥٥).

(٢) المدارك (١/ ٢٥١) والسير (٩/ ١٢١) والديباج ص ٢٣٩.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي، إمام محدث فقيه ناقد، أخذ عن ابن راهويه وهشام بن عمار وابن شاهين والمروزي.. وعنه الدولابي والطحاوي وابن السني وأبو القاسم الطبراني.. له «السنن» و«عمل اليوم والليلة» و«التفسير» و«الضعفاء» و«الكنىٰ» و«مسند علي» ولد سنة ٢١٥ هـ وتوفي سنة ٣٠٣ هـ. انظر: السير (١٤/ ١٢٥)

(٥) المدارك (١/ ٢٥١) والديباج ص ٢٣٩.

(٦) المدارك (١/ ٢٥١).

وقال ابن عبد البر: «وكان فقيهـًا قد غلب عليه الرأي، وكان رجلاً صالحـًا مُقِلاً صابراً، وروايته «للموطأ» عن مالك رواية صحيحة، قليلة الخطأ، وكان فيما رواه عن مالك من «موطئه» ثقةً حسن الضبط متقنـًا»[(١)].

وقد قدَّمه كثير من أهل العلم في علمه بعلم مالك ووصفوه بأنه آمنهم عليه[(٢)].

ومع رسوخ قدمه في العلم، فقد كان إمامـًا في العبادة والسخاء والشجاعة والورع والزهد.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٩١ هـ[(٣)].

٤ – أشهب بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي العامري الفقيه، ويقال: إن اسمه مسكين وأشهب لقب له. ثقة فقيه، ولد سنة ١٤٠ هـ. ولازم الإمام مالكـًا وسمع منه[(٤)].

وقد تفقه علىٰ يد الإمام مالك وغيره من المدنيين والمصريين. وكانت بينه وبين ابن القاسم منافسة ومع ذلك فإن ابن القاسم يقول موصيـًا بعض

(١) الانتقاء ص ٩٥.

(٢) انظر: الانتقاء ص ٩٥ – ٩٦، المدارك (١/ ٢٥١ – ٢٥٢)، السير (٩/ ١٢٢ – ١٢٥)، الديباج ص ٢٣٩ – ٢٤٠.

(٣) المصادر السابقة، ومن تلاميذه أصبغ والحارث بن مسكين وسحنون ومحمد بن الحكم، انظر: السير (٩/ ١٢٠).

(٤) الانتقاء ص ٩٦، المدارك (١/ ٢٥٩)، والسير (٩/ ٥٠٠)، الديباج ص ١٦٢.

طلبة العلم: «إن كنت مبتغيًا هذا العلم بعدي فابتغه عند أشهب»[١].

قال ابن عبد البر: «وكان أشهب ثقة فيما روىٰ عن مالك وصنَّف كتابًا في الفقه»[٢] وقال: «كان فقيهًا حسن الرأي والنظر»[٣].

كذلك كان بينه وبين الشافعي بعض ما يكون بين الأقران، ومع ذلك فيقول فيه الشافعي: «ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه»[٤] وقال: «أفقه أصحاب مالك المصريين: أشهب»[٥].

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٠٤ هـ بعد وفاة الشافعي بثمانية عشر يومًا[٦].

فهؤلاء هم من أشهر تلاميذ الإمام مالك اكتفيت بالترجمة لهم لشهرتهم وللبعد عن الإطالة[٧].

(١) الانتقاء ص ٩٧، والمدارك (١/ ٢٥٩).

(٢) الانتقاء ص ٩٧.

(٣) انظر: السير (٩/ ٥٠١).

(٤) المدارك (١/ ٢٥٩).

(٥) الانتقاء ص ٩٨.

(٦) الانتقاء ص ٩٧، والمدارك (١/ ٢٦٢). ومن تلاميذه: الحارث بن مسكين ويونس بن عبد الأعلىٰ ومحمد بن الحكم ومحمد بن الموّاز وسحنون بن سعيد فقيه المغرب وعبد الملك بن حبيب فقيه الأندلس وهارون الأيلي. انظر: السير (٩/ ٥٠١).

(٧) وقد اتبعت في الاكتفاء بهؤلاء التلاميذ الأربعة الدكتور سعود الدعجان في كتابه «منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة».

تاسعاً: جلوسه للتدريس والإفتاء وصفة مجلسه وهيبته وتحريه وورعه في الفتوى:

مما تقدم ذكره من حرص الإمام مالك علىٰ طلب العلم وحبه له وصبره وجده وجلده في ذلك، والتحري في أخذ العلم عن أهله، مع ما وهبه الله من سرعة الحفظ وكثرته مع فهمه وإتقانه ذلك، كانت هذه الأمور من المؤهلات لأن يكون رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلماً وإماماً في المستقبل فحصل له ذلك في حياة بعض شيوخه، فقد بدأ مالك التدريس والتعليم والإفتاء بعد أن استوت رجولته ونضج عقله(١)، وذلك بعد أن استشار أهل العلم، وكان يرىٰ أن ذلك لابد منه.

فقد قال في ذلك: «ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس، حتىٰ يشاور فيه أهل الصلاح والفضل.. فإن رأوه لذلك أهلاً جلس، وما جلست حتىٰ شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أني موضع لذلك»(٢).

وقد تقدم ذكر استشارته في ذلك لشيخيه: الزهري وربيعة(٣).

وبلغ في درسه من إجلاله للحديث مبلغاً عظيماً، وتقدم الإشارة إلىٰ ذلك(٤).

---

(١) تعددت روايات أهل العلم في ذلك، فقد ذكر بعضهم أنه جلس للتدريس وعمره سبعة عشر سنة، وحكم بعض المحققين ببعد ذلك عن الصواب ورجَّحوا أن جلوسه كان بعد العشرين وقُرب الثلاثين. انظر: ترتيب المدارك (١/ ٥٨ - ٥٩) والجرح والتعديل (١/ ٢٦ - ٢٧) والسير (٨/ ٥٥).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣١٦) وترتيب المدارك (١/ ٥٩).

(٣) انظر: ص٤١.

(٤) انظر: مبحث طلبه للعلم واجتهاده فيه ص.

وقد صاحب تدريسه التزامه السكينة والوقار والبعد عن اللغو، وكذا البعد عن المسائل الافتراضية التي لم تحدث. ولذلك كان مجلسه من أكثر المجالس هيبة.

قال أبو مصعب: «كانوا يزدحمون علىٰ باب مالك فيقتتلون علىٰ الباب من الزحام، وكنا نكون عند مالك فلا يكلم ذا ذا ولا يلتفت ذا إلىٰ ذا، والناس قائلون برؤوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه وهم قائلون مستمعون، وكان يقول في مسألة: لا أو نعم، ولا يقال له: من أين قلت ذا؟»(١).

وكان إذا جلس جلسة لم يتحول عنها حتىٰ يقوم إذا شرع في الحديث تهيبه تلاميذه وكأنهم لم يعرفوه ولم يعرفهم وكأن الطير علىٰ رؤوسهم(٢).

فجزاه المولىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ إجلاله لحديث رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هيبة وإكرامًا من أهل العلم والفضل وذي السلطان.

قال سعيد بن أبي مريم: «ما رأيت أشد هيبة من مالك، لقد كانت هيبته أشد من هيبة السلطان».

وقال الشافعي: «ما هبت أحداً قط هيبتي مالك بن أنس حين نظرت إليه»(٣).

ومما أُنشِدَ في ذلك:

يأبىٰ الجواب فلا يـراجـع هيبـة ... والسـائـلـون نـوكس الأذقـان

(١) الجرح والتعديل (١/ ٢٦).

(٢) المدارك: (١/ ٧٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ٨٤ - ٨٥).

أدب الوقار وعز سلـطـــان التُّقىٰ   فهو المَهِيبُ وليس ذا السلطان[١]

وما نقل في ذلك كثير جداً والمقصود ذكر نماذج فقط وللاستزادة فإنه يمكن الرجوع إلىٰ «ترتيب المدارك» وغيره[٢].

وأما تحريه للفتوىٰ وورعه فيها، فإن الإمام مالكًا يعد إمامًا بحق في ذلك، وقد سُطرت في كتب أهل العلم نقولات عظيمة عنه في هذه القضية العظيمة.

وقد تقدم أنه تأثر في ذلك بشيخه ابن هرمز. لاسيما في قول: «لا أدري» وعدم الجرأة علىٰ الفتيا[٣]

ومما نقل عنه في ذلك: أنه كان يقول: ربما وردت عليَّ المسألة فأسهر فيها عامة ليلي وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا سئل المسألة قال للسائل: انصرف حتىٰ أنظر فيها، وكان إذا سئل عن مسألة تغير لونه وقال بعضهم: لكأنما مالك والله إذا سئل عن مسألة واقف بين الجنة والنار، وكان يقول: «من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه قبل أن يجيب علىٰ الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة، ثم يجيب»[٤].

---

(١) نسبهما القاضي عياض للثوري فقال: وقيل كان الثوري في مجلسه (يعني مجلس مالك) فلما رأىٰ إجلال الناس له وإجلاله للعلم أنشد.. المدارك (١/ ٨٥) ونسبهما ابن عبد البر إلىٰ عبد الله بن سالم الخياط، انظر: الانتقاء ص ٨٩، والتمهيد (١/ ٨٤) وأما الذهبي فقد نسبهما إلىٰ مصعب بن عبد الله، السير (٨/ ١١٣)

(٢) انظر: المدارك (١/ ٧٦ - ٨٦) فقد أفاض في ذلك القاضي عياض وجمع أقوال أهل العلم وذي السلطان وتلاميذ الإمام في هيبته وتوقيره لحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجلاله له وكراهته التحدث متكئًا وغير ذلك.

(٣) انظر ص٣٧.

(٤) المدارك (١/ ٧٠ - ٧١) والديباج ص ٦٩.

ونظراً لأن المفتي يكون حجة بين السائل وبين الله تعالىٰ، فقد كان الإمام مالك كثيراً ما يقول في بعض المسائل: لا أدري، وكان مع علمه الغزير ومكانته وإمامته لا يتحرج من أن يقولها.

قال الهيثم بن جميل: «سمعت مالكًا سُئل عن ثمان وأربعين مسألة فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـ«لا أدري»».

وقال خالد بن خداش: «قدمت علىٰ مالك بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل»(١).

وهذا منه -كما تقدم- عملٌ بوصية شيخه ابن هرمز له حيث قال له فيما يرويه الإمام مالك عنه: «ينبغي للعالم أن يورِّثَ جلساءه قول: «لا أدري» حتىٰ يكون ذلك أصلاً يفزعون إليه»(٢).

وقد سأله رجل عن مسألة وذكر أنهم أرسلوه ليسأله عنها مسيرة ستة أشهر، قال: هاتها، فأخبره بها، فقال: لا علم لي بها، فأخبر الذي أرسلك أني لا علم لي بها، قال: ومن يعلمها؟ قال: من علمه الله. ثم قال: قالت الملائكة ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة البقرة:٣٢](٣).

---

(١) الانتقاء ص ٧٥، والسير (٨/ ٧٧).

(٢) الانتقاء ص ٧٥، والسير (٨/ ٧٧).

(٣) الانتقاء، ص ٧٥، والمدارك (١/ ٧١) وذكر القاضي عياض: أن الرجل قدم من المغرب. وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل المسائل العديدة فينتظر الوحي يأتيه من السماء، وما آيات «يسألونك» بقليلة في القرآن الكريم. وقد اقتدىٰ به الصحابة الذين اقتدىٰ بهم التابعون من بعدهم في ذلك، وقد روي عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما: «إذا أخطأ العالم لا أدري، أُصيبت مقاتله»، وقال أبو الدرداء: «لا أدري نصف العلم»، وحكىٰ ذلك عن الإمام مالك أيضًا ابن عجلان وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جُنّة العالم: لا أدري إذا أغفلها أصيبت مقاتله» وانظر: الانتقاء ص ٧٤ - ٧٥ والمدارك (١/ ٧٠ - ٧٠) والسير (٨/ ٧٧).

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا: أن قول لا أدري لم يكن من الإمام مالك عن عجز مطلق، ولكن كان يكون ذلك منه عندما يكون الذي وصل إليه ظنًا لا ينبغي إعلانه، أو أنه لم يجد إجابة شبيهة لهذه المسألة فيما سمع من فتاوىٰ الصحابة وما أثر عمن يقتدىٰ بهم من العلماء والمشايخ ولذلك كان يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ منكراً علىٰ من يتعجلون الفتوىٰ[1]:

«ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام في الفتيا، ولو وقفوا علىٰ ما يصيرون إليه غداً لقللوا من هذا، وإنّ عمر بن الخطاب وعلياً وعلقمة وخيار الصحابة، كانت ترد عليهم المسائل، وهم خير القرون، الذين بعث فيهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانوا يجمعون أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويسألون حينئذٍ ثم يفتون فيها، وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا، فبقدر ذلك يفتح من العلم...»[2].

قلت: فكيف بالإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لو رأىٰ أهل زماننا هذا؟ فقد رأينا -للأسف- تجرؤ كثير من الناس علىٰ الفتيا والكلام عن دين الله والتحدث عن الشريعة وهم ليسوا أهلاً لذلك بل هم من أجهل خلق الله بدين الله، وقد ساعدهم في ذلك وفرة وسائل الإعلام من قنوات ومواقع إنترنت وغيرها؛ فنسأل الله لهم الهداية ولنا العافية.

وقال ابن وهب: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك: «لا أدري» لفعلت[3].

(١) منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص ٣٨.

(٢) المدارك (١/ ٧١).

(٣) السير (٨/ ١٠٨).

والمنقول في هذا الأمر عن الإمام مالك كثير جداً وعظيم يدل علىٰ تحريه في الفتوىٰ وتقواه وورعه وخوفه من سؤال الله، وليس المقصود حصر النقول التي وردت منه في هذه المسألة، إذ ذاك أمر يصعب جمعه فيما نحن بصدده ولكن المقصود ذكر نماذج تبين منهجه في ذلك وللاستزادة فإنه يمكن الرجوع إلىٰ «ترتيب المدارك»[١] و«الانتقاء»[٢]و«الديباج»[٣] و«السير»[٤].

(١) (١/ ٧٠ – ٧١).

(٢) ص٧٤ – ٧٥.

(٣) ص ٦٩ – ٧٠.

(٤) ٨/ ٧٦ – ٧٧

عاشراً: الأصول التي بنى عليها الإمام مالك فقهه.

لم يدوِّن الإمام مالك الأصول التي بنىٰ عليها فقهه، ورتَّب بناءً عليها استخراج أحكام الفروع. إلا أنه قد أشار إلىٰ هذه الأصول من خلال الفتاوىٰ والمسائل التي نُقلت ودونت عنه.

ولقد قام بعض فقهاء المذهب المالكي بتتبع هذه الفروع واستخرجوا منها ما يصح أن يكون أصولاً قام عليها الاستنباط عند الإمام مالك، ثم دونَّوا هذه الأصول علىٰ أنها أصول الإمام مالك، فيقولون مثلاً: مالك يأخذ بمفهوم المخالفة وبالمصالح المرسلة ويقول في العموم كذا وكذا... وهكذا[1].

ولا يُشكُّ في جلالة هذا العمل وعظمته وضخامة الجهد المبذول في ذلك إلا أن أقوالهم قد تعددت في ذلك، وهو أمر لا يستغرب إذ مرجع هذا الحصر والعد هو الاجتهاد، وخلاصة هذه الأقوال في تحديد أصول الإمام مالك هي:

١- إن أصول مذهب الإمام مالك هي: الكتاب والسنة والاجماع والقياس وقول الصحابي والاستحسان والعرف والاستصحاب وسد الذرائع وعمل أهل المدينة والمصالح المرسلة.

وهي بذلك أحد عشر أصلاً[2].

٢- إن أصول مذهب الإمام مالك ستة عشر وهي:

الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستدلال والاستصحاب وسد

(١) انظر: مالك لأبي زهرة ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٢) الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي للخليفي ص ١١٥.

الذرائع والاستحسان والبراءة الأصلية وقول الصحابي والمصلحة المرسلة وعمل أهل المدينة وتصديق المعصوم والاستقراء والأخذ بالأخف والعرف[1].

وفي ذلك يقول الناظم:[2]

ست وعشر انبنىٰ عليها	**مذهب مالك فمل إليها**
كتاب، السنة، والإجماع ثم	**قياس، استدلال، الاستصحاب ضم**
سد ذرائع والاستحسان مع	**براءة أصلية خلق يقع**
قول الصحابي، مرسل المصلحة	**كذاك أيضًا عمل المدينة**
تصديق معصوم والاستقراء	**والأخذ بالأخف ذا انتهاء**

٣- إن أصول مذهب الإمام مالك سبعة عشر وهي:

نص الكتاب وظاهره: (العموم) ودليله: (مفهوم المخالفة) ومفهومه: (المفهوم بالأولىٰ) والتنبيه علىٰ العلة. ومن السنة مثل هذه الخمس والإجماع، والقياس، وعمل أهل المدينة، وقول الصحابي والاستحسان، والحكم بسد الذرائع، وأما مراعاة الخلاف فتارة وتارة كذا[3].

٤- أما القرافي فقد ذكر في «الفروق» أنها نحو العشرين[4] وفي «شرح تنقيح الفصول» عدَّها تسعة عشر وهي:

(١) الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة لابن المشاط ص ١١٥، وقد عزا هذا القول لبعض أهل العلم، وأما القول الذي تبناه فهو القول الذي بعد هذا.

(٢) انظر الجواهر الثمينة ص ١١٦.

(٣) الجواهر الثمينة ص١١٦ وهذا القول هو الذي تبناه ابن المشاط مؤلف الكتاب.

(٤) انظر: الفروق (١/ ١٢٨).

الكتاب والسنة وإجماع الأمة وإجماع أهل المدينة والقياس وقول الصحابي، والمصلحة المرسلة والاستصحاب والبراءة الأصلية والعوائد والاستقراء وسد الذرائع والاستدلال والاستحسان والأخذ بالأخف والعصمة وإجماع أهل الكوفة وإجماع العترة وإجماع الخلفاء الأربعة[(١)].

٥- أما القاضي عياض فقد ذكر منها: الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة والقياس[(٢)]

وقد فهم البعض أنه حصر أصول مذهب الإمام مالك في هذه الأربعة[(٣)] وبالنظر والتحقيق فإن الأمر علىٰ خلاف ما فُهم، ودليله: قول القاضي عياض نفسه قبل ذكره وتحديده لهذه الأربعة: «... وحسب المبتدئ أن يلوح له بتلويح يفهمه اللبيب ويقضي منه بترجيح مصيب، وهو أنَّا قد ذكرنا خصال الاجتهاد ثم مأخذه وترتيبه علىٰ ما يوجبه العقل ويشهد له الشرع بتقديم كتاب الله علىٰ ترتيب وضوح أدلته من نصوصه، ثم ظواهره، ثم مفهوماته ثم كذلك بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ترتيب متواترها ومشهودها، ثم ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهومها علىٰ ما تقدم في الكتاب ومتواتر السنة».. ثم ذكر الاستنباط وعمل الصحابة ثم عقَّب بقوله: «وأنت إذا نظرت لأول وهلة مَنازِع هؤلاء الأئمة ومآخذهم في الفقه والاجتهاد في الشرع وجدت مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) شرح تنقيح الفصول ص ٤٤٥.

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٣٩).

(٣) منهم: أبو زهرة - كما في كتابه «مالك» - ص ٢٠٥ حيث قال: «هذا ما ذكره القاضي عياض في أصول مذهب مالك ذكر الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة والقياس ولم يذكر غيرها، فلم يذكر الإجماع ولم يذكر القواعد التي امتاز بها ذلك المذهب..».

ناهجًا في هذه الأصول منهاجًا مرتبًا لها مراتبها ومدارجها، مقدمًا كتاب الله علىٰ الآثار، ثم مقدمًا لها علىٰ الاعتبار والقياس، تاركًا منها مالم يتحمله الثقات العارفون لما تحملوه، أو ما يجهلونه، أو ما وجد الجمهور الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه .. ثم كان من وقوفه عن المشكلات وتحريه عن الكلام في المعوصات في سلك به سبيل السلف الصالحين وكان يرجح الاتباع ويكره الابتداع والخروج عن سنن الماضين»(١).

فتبين من سياق هذا الكلام أن القاضي عياض عدَّد مجموعة من الأصول، إلا أنه لم يوصلها العدد الذي ذكره القرافي وغيره.

وليس المجال للحديث عن هذه الأصول واحداً واحداً، فذلك أمر يخرجنا عمَّا نحن فيه وهو مبسوط في مظانه، وإنما المقصود ذكر هذه الأصول إجمالاً والإشارة إليها.

وحقيقة الأمر أن المذهب المالكي يتميز بكثرة أصوله وتعددها، وهذه الكثرة قد دعت بعض علماء المالكية لمحاولة الدفاع عنها وادعاء أن المذاهب الأخرىٰ قد أخذت بما أخذوا به(٢).

---

(١) المدارك (١/ ٣٩).

(٢) منهم القرافي، حيث قال: «تنبيه» ينقل عن مذهبنا أن من خواصه اعتبار العوائد والمصلحة المرسلة وسد الذرائع وليس كذلك، أما العرف فمشترك بين المذاهب ومن استقراها وجدهم يصرحون بذلك فيها وأما المصلحة المرسلة فغيرنا يصرح بإنكارها ولكنهم عند التفريع نجدهم يعللون بمطلق المصلحة ولا يطالبون أنفسهم عند الفروق والجوامع بإبداء الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون علىٰ مجرد المناسبة وهذا هو المصلحة المرسلة، وأما الذرائع فقد أجمعت الأمة علىٰ أنها ثلاثة أقسام.. فحاصل القضية أنا قلنا بسد الذرائع أكثر من غيرنا لا أنها خاصة بنا» انظر: شرح تنقيح الفصول ص ٤٤٨ - ٤٤٩.

وفي الحقيقة إن هذا الأمر لا يحتاج إلىٰ دفاع، إذ كثرة الأصول تعد حسنة من حسنات المذهب المالكي يُفاخر بها لا أمر يحتمل فيه مؤونة الدفاع.

إذ من ثمار كثرة الأصول أنها تطلق يد المخرِّج في تخريجه، فإنه كلما كثر ما بين يدي المفتي من أصول صالحة للإفتاء، فإنه يختار منها أصلحها، وأقربها إلىٰ العدل والدين فيما يفتي به. وإن من شأن كثرة الأدلة أن تجعل المذهب مرنـًا في التطبيق فلا تضيقه[1].

وحيث إن الحديث عن أصول مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإني أرىٰ أن من المناسب أن أنقل رسالته التي بعث بها إلىٰ الإمام الليث بن سعد[2] حيث لها متعلق بما نحن فيه، ثم أذكر ملخصـًا لرد الإمام الليث علىٰ رسالة الإمام مالك رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

رسالة مالك إلىٰ الليث بن سعد رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ:

من مالك بن أنس إلىٰ الليث بن سعد، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. **أما بعد**..

فعصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية، وعافانا وإياك من كل مكروه. كتبت إليك وأنا ومن قِبَلِي من الولدان والأهل علىٰ ما تحب، والله محمود. أتانا

(١) الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي ص ١١٧.

(٢) هو أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، عالم الديار المصرية إمام حافظ محدث فقيه، أخذ عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وابن شهاب الزهري وسعيد المقبري.. وعنه ابن المبارك وابن وهب وأشهب. حكىٰ بعض أهل العلم أنه في الحديث والعلم يقرب منزلة مالك وأمثاله إلا أن تلاميذه لم ينشروا علمه وينقلوه. ولد سنة ٩٤ هـ وتوفي سنة ١٧٥ هـ. انظر: التاريخ الكبير (٧/ ٢٤٦) والسير (٨/ ١٣٦).

كتابك تذكر من حالك ونعمة الله عليك الذي أنا به مسرور، أسأل الله أن يتم علي وعليك صالح ما أنعم علينا وعليك وأن يجعلنا له من الشاكرين، وفهمت ما ذكرت في كتب بعثت بها لأعرضها لك، وأبعث بها إليك، وقد فعلت ذلك، وغيَّرت منها ما غيرت حتىٰ صح أمرها علىٰ ما يجب وختمت علىٰ كل قنداق -أو غنداق- منها بخاتمي ونقشه: حسبي الله ونعم الوكيل، وكان حبيباً إلىٰ حفظك وقضاء حاجتك وأنت لذلك أهل، وصبرت لك نفسي في ساعة لم أكن أعرض فيها لأن أُنْجِح ذلك، فتأتيك مع الذي جاءني بها حتىٰ دفعتها إليك وبلغت من ذلك الذي رأيت أنه يلزمني لك في حقك وحرمتك وقد نشطني ما استطلعت مما قبلي من ذلك في ابتدائك بالنصيحة لك، ورجوت أن يكون لها عندك موضع، ولم يكن منعني من ذلك قبل اليوم إلا أن يكون رأيي لم يزل فيك جميلاً إلا أنك لم تذاكرني شيئاً من هذا الأمر، ولم تكتب فيه إليَّ.

واعلم -رحمك الله- أنه بلغني أنك تفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن فيه، وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قبلك إليك، واعتمادهم علىٰ ما جاء منك حقيق بأن تخاف علىٰ نفسك وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨﴾ [سورة الزمر: ١٧- ١٨].

فإنما الناس تبع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن،

وأُحِلَّ الحلال وحُرِّم الحرام، إذ رسول الله بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه ويسن لهم فيتبعونه، حتىٰ توفاه الله، واختار له ما عنده صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته، ممن ولي الأمر من بعده، فما نزل بهم مما علموا أنفذوه، وما لم يكن عندهم علم فيه سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوىٰ ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحداثة عهدهم، وإن خالفهم مخالف أو قال امرؤٌ غيره أولىٰ منه وأولىٰ، تُرك قوله وعمل بغيره.

ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبل، ويتبعون تلك السنن فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أر لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز انتحالها ولا ادعاؤها، ولو ذهب أهل الأمصار يقولون: هذا العمل ببلدنا وهذا الذي مضىٰ عليه من مضىٰ منا، لم يكونوا فيه من ذلك علىٰ ثقة، ولم يكن لهم من ذلك الذي جاء لهم.

فانظر -رحمك الله- فيما كتبت إليك فيه لنفسك واعلم أني أرجو أن لا يكون دعائي إلىٰ ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله وحده والنظر إليك والظن بك، فأنزل كتابي منزلته، فإنك إن فعلت تعلم أني لم آلك نصحاً، وفقنا الله وإياك لطاعته، وطاعة رسوله في كل أمر، وعلىٰ كل حال، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

وكتب يوم الأحد لتسع مضين من صفر[2]

(١) ذكرها يحيىٰ بن معين في تاريخه (٤/ ٤٩٥) علىٰ ما ذكرته. وذكر بعضها القاضي عياض، حيث نقص عنده من قوله: «عصمنا الله وإياك بطاعته» - حتىٰ قوله: «إلا أنك لم تذاكرني بشيء من هذا الأمر ولم تكتب فيه إليَّ». المدارك (١/ ٢١ - ٢٢).

(٢) ولم يحدد السنة التي كتبت فيها.

ملخص رسالة الليث إلىٰ مالك(١)

قال القاضي عياض ملخصـًا رسالة الليث إلىٰ مالك: «وإنه بلغك عني أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم وأنه يحق عليَّ الخوف علىٰ نفسي لاعتماد من قلبي فيما أفتيتهم به، وأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذي كتبت من ذلك - إن شاء الله - ووقع مني بالموقع الذي لا أكره، ولا أشد تفضيلاً مني لعلم أهل المدينة الذين مضوا ولا آخَذْ بفتياهم فيما اتفقوا عليه مني والحمد لله.

وأما ما ذكرت من مقام رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين ظهراني أصحابه، وما علمهم الله منه، وإن الناس صاروا تبعـًا لهم فكما ذكرت».

قال القاضي عياض: «أنا اختصرت هذا وأتيت منها بموضع الحاجة وبالله التوفيق»(٢).

---

(١) لخصها وذكر خلاصتها القاضي عياض في المدارك (١/ ٢٢) وأما كاملة فقد نقلها ابن معين في تاريخه (٤/ ٤٨٧) وابن القيم في أعلام الموقعين (٣/ ٨٣ - ٨٨).

(٢) المدارك (١/ ٢٢).

حادي عشر: مؤلفاته.

تنسب للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفات عديدة وسأذكر في هذا الموضع أشهرها وأصحها نسبة إليه وهي:

كتاب الموطأ:

إذا ذكرت كتب الحديث فلابد أن يذكر الموطأ من بينها، وإذا رتبت كتب الفقه في المذهب المالكي فتتعيَّن الإشارة إليه أولاً، وإذا نقّب الباحثون في تاريخ تدوين العلوم الإسلامية برز الموطأ كأول تدوين وصل إلينا في الحديث والفقه[١].

وإن نسبة الموطأ إلىٰ مؤلفه الإمام مالك ليست محل خلاف بين أهل العلم بل اتفقت كلمتهم علىٰ أنه كتابه الذي حرره بيده ورواه عنه المئات من أهل الحديث والفقه[٢].

ولقد أحرز الموطأ في الأوساط العلمية رتبة عالية وحصل في الثناء العظيم من أهل العلم - نثراً وشعراً - [٣].

ويُحكىٰ في سبب تأليفه أن الخليفة المنصور[٤] هو الذي اقترح علىٰ

(١) الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي مصطلحاته وأسبابه لعبد العزيز الخليفي ص ٧٤.

(٢) كشف المغطي من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، لمحمد الطاهر بن عاشور ص ٧.

(٣) انظر: المدارك (١/ ١٠١).

(٤) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، الخليفة المنصور، ولد سنة ٩٥ هـ أو نحوها، قال الذهبي: «ضرب في الآفاق ورأىٰ البلاد وطلب العلم»، وتوفي سنة ١٥٨ هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٥٣) والسير (٨/ ٨٣).

الإمام مالك أن يدوِّن العلم ويجمع المسائل في كتاب. فلما أتمَّ وضعه قال المنصور: إني عزمت أن أكتب كتبك هذه نسخًا، ثم أبعث إلىٰ كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة آمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدوها إلىٰ غيرها من هذا العلم المُحْدَث، فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم». فأجاب الإمام مالك بقوله: «يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث وروايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودلوا له، من اختلاف أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم فقال أبو جعفر: «لو طاوعتني علىٰ ذلك لأمرت به»[(١)].

وأما وجه تسميته بالموطأ، فقد جاء في عبارات حديث المنصور مع مالك أنه قال له: «فألِّف للناس ووطئه لهم توطئة» فسمي هذا الكتاب الموطأ لذلك. ونقل عن الإمام مالك قوله: «عرضت هذا الكتاب علىٰ سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه، فسميته الموطأ»، ولقد أصبح هذا الاسم بعد ذلك علمًا علىٰ كتاب مالك. وهو بصيغة اسم المفعول، أي المسهَّل الموضح[(٢)].

وقد قيل إن الإمام مالكًا ألفه في أربعين سنة[(٣)].

---

(١) المدارك (١/ ١٠١ - ١٠٣).

(٢) انظر: الفكر السامي (٢/ ٣٣٥).

(٣) الديباج ص ٧٣، إلا أن خبر المنصور السابق - إن صح - فيكون المقصود منه الجمع إذ يحتمل أن يستغرق أربعين سنة - أما التدوين فإنه بالتأكيد لا يستغرق مدة أربعين سنة، وانظر: الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي ص ٧٦.

وقد اعتنىٰ أهل العلم بالموطأ عناية كبيرة. وذلك من حيث رواياته ورجاله وغريبه وشرحه وغير ذلك.

قال القاضي عياض لم يُعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ فإن الموافق والمخالف اجتمع علىٰ تقديره وتفضيله وروايته وتقديم حديثه وتصحيحه»[١].

وقال الذهبي: «وما زال العلماء قديمًا وحديثًا لهم أتمُّ اعتناء برواية الموطأ ومعرفته وتحصيله»[٢].

ثم ذكر هؤلاء العلماء الذين اعتنوا بالموطأ ومؤلفاتهم[٣].

وكذلك فعل قبله القاضي عياض - بتوسع - كما في «المدارك»[٤].

وأفضل شروح الموطأ وأجلُّها كتاب «التمهيد» لابن عبد البر وله كذلك «الاستذكار»، ومن الشروح الجيدة للموطأ: كتاب «المنتقىٰ» لأبي الوليد الباجي وله - أيضًا - كتاب «الاستيفاء» ولم يتمه، ولابن العربي كتاب «القبس» في شرح الموطأ وكذا كتاب شرح الزرقاني.

وأما تآليف الإمام مالك غير الموطأ، فهناك بعض الرسائل المنسوبة إليه، ولكنها لم تشتهر عنه كاشتهار الموطأ، وللعلماء في ثبوت بعضها ونسبتها إليه نظر[٥].

(١) المدارك (١/ ١٠٥).

(٢) السير (٨/ ٨٥).

(٣) المصدر السابق (٨/ ٨٥-٨٨).

(٤) المدارك (١/ ١٠٥ - ١٠٨).

(٥) منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص ٥٢.

قال القاضي عياض: «اعلموا وفقكم الله تعالىٰ أن لمالك - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ - أوضاعًا شريفة مروية عنه، أكثرها بأسانيد صحيحة في غير فن من العلم، لكنه لم يشتهر عنه منها ولا واظب علىٰ إسماعه وروايته غير الموطأ مع حذف منه، وتلخيصه له شيئًا بعد شيء، وسائر تآليفه إنما رواها عنه من كتب بها إليه أو سأله إياها أحد من أصحابه ولم تَرْوِها الكافة»[١].

وفيما يلي ذكر ما صحت نسبته من هذه الرسائل:

١- رسالة في القدر والرد علىٰ القدرية.

وقد ذكر جميع من ترجم للإمام مالك - تقريبًا - هذه الرسالة وأنها من تأليفه[٢] ومن أقوالهم في ذلك:

قال القاضي عياض: «رسالته إلىٰ ابن وهب في القدر والرد علىٰ القدرية وهو من خيار الكتب في هذا الباب الدالة علىٰ سعة علمه بهذا الشأن رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد حدثنا بها غير واحد من شيوخنا بأسانيدهم المتصلة إلىٰ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[٣].

ثم ساق إسناده الذي انتهىٰ إلىٰ ابن وهب عن مالك، ثم قال: «وهذا سند صحيح مشهور الرجال، كلهم ثقات»[٤].

وقال الذهبي: «ولمالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة في القدر، كتبها إلىٰ ابن وهب وإسنادها صحيح»[٥].

---

(١) المدارك (١/ ١٠٩).

(٢) براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة للدكتور عبد العزيز الحميدي ص ٨٢

(٣) المدارك (١/ ١٠٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) السير (٨/ ٨٨).

٢ - كتاب في النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر:

قال عنه القاضي عياض: «وهو كتاب جيد مفيد جداً قد اعتمد الناس عليه في هذا الباب وجعلوه أصلاً»[(١)] وكذا نسبه إليه الذهبي وغيره[(٢)].

٣ - رسالة في الأقضية:

كتب بها إلىٰ بعض القضاة في عشرة أجزاء[(٣)].

٤ - كتاب في تفسير غريب القرآن:

ذكره كذلك القاضي عياض[(٤)] والذهبي[(٥)] وذكرا من رواه عنه.

وقال السيوطي: «وقد رأيت له - يعني مالكًا - تفسيراً لطيفًا مسنداً فيحتمل أن يكون من تأليفه، أو أن يكون علق منه»[(٦)].

٥ - رسالة في الفتوىٰ[(٧)].

(١) المدارك (١/ ١٠٩).

(٢) السير (٨/ ٨٨).

(٣) المدارك (١/ ١٠٩) والسير (٨/ ٨٩) وذكر الذهبي أنها مجلد، والديباج ص ٧٥.

(٤) المدارك (١/ ١١٠).

(٥) السير (٨/ ٨٩).

(٦) تزيين الممالك ص ٤٠، وانظر: الوسائل إلىٰ معرفة الأوائل للسيوطي ص ١٥٠ وندوة الإمام مالك (١/ ٢٧٠) وروح المعاني للألوسي (١٩/ ٥٨) وقد خرجت رسالة علمية بعنوان: «الإمام مالك مفسراً» جمع فيها معدها أقوال الإمام مالك في التفسير من الكتب المختلفة، لحميد لحمر بفاس وطبعت الطبعة الأولىٰ سنة ١٤١٥هـ وأثبت في مقدمتها نسبة التفسير المشار إليه سابقاً إلىٰ الإمام مالك وجمع أقوال أهل العلم في ذلك.

(٧) المدارك (١/ ١١٠) والسير (٨/ ٨٩) وتزيين الممالك ص ٤١، وهي رسالة أرسلها الإمام مالك إلىٰ أبي غسان محمد بن مُطرف .

٦ - **كتاب السر**، وهو كتاب نسبه بعضهم إلىٰ الإمام مالك[(١)].

ذكره القاضي عياض[(٢)] والذهبي[(٣)] وقال الحافظ ابن حجر: «وكتاب السر وقفت عليه في كراسة لطيفة من رواية الحارث بن مسكين[(٤)] عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك وهو يشمل علىٰ نوادر من المسائل وفيه كثير مما يتعلق بالخلفاء، ولأجل هذا سمي «كتاب السر»»[(٥)].

٧ - **كتاب المجالسات**[(٦)].

٨ - **كتاب المناسك**[(٧)].

٩ - **رسالته إلىٰ الليث بن سعد في إجماع أهل المدينة**[(٨)].

---

(١) ورد في ترجمة أمين الخولي ص٧٥٩ تسميته بالسير، وغلب علىٰ ظنه أنه في الفقه ؛ وقال بأن (السر) اسم محرف فيما يغلب علىٰ ظنه، وقال ابن شاش في كتابه «عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة» ص ٦٧ - ٦٨: «قال علماؤنا لا تثبت هذه الرسالة.. » ثم ذكر من أنكرها.

وقيل: إن كتاب السر هو نفسه رسالة الإمام إلىٰ الليث، وقد تناول ذلك الباحث بوجمعة أمدجار في رسالة دكتوراه بعنوان: «روايات أشهب الفقهية عن الإمام مالك في العبادات - الطهارة والصلاة - جمعا ودراسة»

(٢) المدارك (١/ ١١٠).

(٣) السير (٨/ ٨٩).

(٤) هو أبو عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي المصري، قاضي القضاة بمصر، فقيه محدث أخذ عن سفيان بن عينية وعبد الله بن وهب وابن القاسم وأشهب.. وعنه أبو داود والنسائي وعبد الله بن الإمام أحمد وابن وضاح. ولد سنة ١٥٤ هـ وتوفي سنة ٢٥٠ هـ. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٩٠)، السير (١٢/ ٥٤) والديباج ص ١٧٧.

(٥) تلخيص الحبير لابن حجر (٣/ ١٨٣).

(٦) تزيين الممالك ص ٤٠.

(٧) المصدر السابق.

(٨) وقد تقدم ذكرها وذكر من رواها. انظر: ص٤٣-٤٤.

وأما رسالته إلىٰ هارون الرشيد[١] في الآداب، فقد نفىٰ نسبتها عدد من أهل العلم، وبيَّنوا أن فيها أحاديث منكرة وفيها ما يخالف أصول مالك[٢].

وأما المسائل التي سألها تلاميذ الإمام مالك له ودوِّنت وجمعت ونشرت في كتب كالمدونة[٣].

---

(١) هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي الخليفة الرشيد، استخلف بعد الهادي سنة ١٧٠ هـ وتوفي سنة ١٩٣ هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٥)، الكامل لابن الأثير (٦/ ١٠٦)، السير (٩/ ٢٨٦).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ١١٠) والسير (٨/ ٨٩).

(٣) وهي من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي، وهي مسائل جمعها فقيه المغرب أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي، قاضي القيروان ويلقب بـ «سحنون» المتوفي سنة ٢٤٠ هـ والمدونة هي أسئلة سألها أسدُ بنُ الفرات ابنَ القاسم، بعضها سمعها من مالك وبعضها من كلام ابن القاسم نفسه وأصحاب مالك، وسمعها سحنون من أسد بن الفرات ثم عرضها علىٰ ابن القاسم، فأصلح فيها كثيراً، وأسقط ثم رتبها سحنون وبوبها واحتج لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته، مع أن فيها أشياء لا ينهض دليلها، بل رأي محض، ووقع فيها بعض الخلط وحكوا أن سحنون في أواخر الأمر علَّم عليها، وهم بإسقاطها، وتهذيبها فأدركته المنية وعليها اختصارات عديدة أهمها: مختصر ابن أبي زيد القيرواني ومختصر ابن أبي زمنين ثم مختصر أبي سعيد البراذعي «التهذيب».

انظر: رياض النفوس للمالكي (١/ ٢٦١)، ترتيب المدارك (١/ ٣٣٩)، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٥٦، السير (١٢/ ٦٣)، الديباج ص ٢٦٣.

والواضحة[١] والعتبية[٢] والموازية[٣]؛ فهي وإن كانت معتمدة في مذهب الإمام مالك إلا أنه لا يقال إنها من مؤلفاته وإنما هي مسائل سمعت منه.

---

(١) وهي من تأليف فقيه الأندلس، أبي مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي العباسي الأندلسي القرطبي المالكي، المتوفى سنة ٢٣٨ هـ وهي مسائل سمعها من عدد من أصحاب مالك، قال القاضي عياض وهو يعدِّد كتب ابن حبيب «ومنها الكتب المسماة بالواضحة في السنن والفقه، لم يؤلف مثلها». ترتيب المدارك (١/ ٣٨١ - ٣٨٢). وقال العتبي - وقد ذكر الواضحة: «رحم الله عبد الملك ما أعلم أحداً ألف على مذهب أهل المدينة تأليفه، ولا لطالب أنفع من كتبه ولا أحسن من اختياره» الديباج ص ٢٥٤ وانظر: الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي ص ٢٨٦، ومنهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) وتسمى المستخرجة من الأسمعة، وهي مجموعة مسائل أيضاً عن الإمام مسموعة من أصحابه، وسميت العتبية نسبة إلى من جمع هذه المسائل وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة القرطبي المعروف بالعتبي المتوفي سنة ٢٥٤ هـ أو ٢٥٥ هـ. وقيل: سميت المستخرجة لأنه استخرجها من الواضحة. وقد شرحها ابن رشد - الجد في كتاب سماه: «البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة» وهو مطبوع. وقد انتقد كتاب العتبية وجرحه بعض العلماء ولكن ذلك يهون لأن ابن رشد قد تصدى لجميع المسائل بالشرح والتوجيه والتعليل، وقد درج بعض أهل العلم على النقل منها، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص ١٣١، القاضي عياض في الشفاء (٢/ ٦٧٧) وغيرهما.

وانظر: ترتيب المدارك (١/ ٤٤٩ - ٤٥٠) والبيان والتحصيل (١/ ٦) «مقدمة التحقيق» والسير (١٢/ ٣٣٥) والديباج ص، ومنهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص ١٥٠ - ١٥١، ومالك للشعكة ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) وهي من تأليف فقيه الديار المصرية أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندراني المالكي المعروف بابن المواز المتوفى سنة ١٦٩ هـ وهو أجل كتاب ألفه قدماء المالكيين وأصحها وأوعبها وأبسطها، كما قال القاضي عياض وغيره. انظر: ترتيب المدارك (١/ ٤٠٥ - ٤٠٦)، شجرة النور الزكية ص ٦٨، السير (١٣/ ٦) الديباج ص ٣٣٢، الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي ص ٢٨٤.

ثاني عشر: من أقواله وحكمه ووصاياه

سُطرت في كتب أهل العلم أقوال كثيرة وحكم بالغة صدرت عن الإمام مالك، وهكذا أهل العلم يحبون أن تنشر الفضيلة ويحرصون علىٰ صلاح أحوال الناس في دينهم ودنياهم وهم كما وصفهم بعض أهل العلم بقوله: «أهل السنة أعرف الناس بالحق وأرحم الخلق للخلق» واخترت من هذه الحكم والأقوال والوصايا ما يلي:

- قال معن بن عيسىٰ سمعت مالكا يقول: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فما وافق السنة فخذوا به».[١].
- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن»[٢]
- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أفتيت حتىٰ شهد لي سبعون أني أهل لذلك»[٣]
- قال خلف بن عمرو: سمعت مالك بن أنس، يقول: «ما أجبت في الفتيا حتىٰ سألت من هو أعلم مني: هل يراني موضعا لذلك؟ سألت ربيعة وسألت يحيىٰ بن سعيد فأمراني بذلك، فقلت له: يا أبا عبد الله فلو نهوك، قال: كنت أنتهي لا ينبغي لرجل أن يرىٰ نفسه أهلا لشيء حتىٰ يسأل من هو أعلم منه»[٤]
- قال خالد بن خداش: «ودعت مالك بن أنس فقلت: أوصني يا أبا عبد

(١) تهذيب التهذيب (٩/ ١٠).

(٢) شرح اعتقاد أصول أهل السنة (٧/ ١٣١٣).

(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣١٦).

(٤) حلية الأولياء (٦/ ٣١٦).

الله قال: تقوىٰ الله وطلب الحديث من عند أهله»[1]

• قال ابن قعنب: «سمعت مالك بن أنس، يقول: قال رجل: ما كنت لاعبا فلا تلعبن بدينك»[2]

• قال الشافعي: «كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما إني علىٰ بينة من ديني، وأما أنت، فشاك، اذهب إلىٰ شاك مثلك، فخاصمه»[3]

• قال مالك: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء».[4]

• قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: «حق علىٰ من طلب العلم أن يكون له وقار، وسكينة، وخشية، والعلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله –تعالىٰ– فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه».[5].

• قال مخلد بن خداش: «سألت مالكا عن الشطرنج، فقال: أحق هو؟ فقلت: لا. قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالِ﴾ [يونس: ٣٢] »[6].

• قال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قال القرآن مخلوق يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[7].

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣١٩).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٩).

(٤) المصدر السابق (٧/ ١٨١).

(٥) المصدر السابق (٧/ ١٨٥).

(٦) المصدر السابق (٧/ ١٨٥).

(٧) شرح اعتقاد أصول أهل السنة (٢/ ٣٤٦).

- قال يحيىٰ بن بكير، قال: مالك: «الداء العضال التنقل في الدين»(١).
- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان يقال: لا تمكن زائغ القلب من أذنك، فإنك لا تدري ما يعلقك من ذلك »(٢).
- قال معن بن عيسىٰ: «انصرف مالك بن أنس يوما من المسجد، وهو متكئ علىٰ يدي فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية كان يتهم بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله اسمع مني شيئا أكلمك به وأحاجك،وأخبرك برأيي قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعتني قال: فإن جاء رجل آخر، فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا عبد الله، بعث الله عَزَّوَجَلَّ محمدا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلىٰ دين قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل»(٣).
- قال عبد الله بن وهب: قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الناس ينظرون إلىٰ الله تعالىٰ يوم القيامة بأعينهم»(٤).
- عبد الله بن نافع قال: قال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله عَزَّوَجَلَّ في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان»(٥).
- قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال مالك ما جالست سفيهًا

(١) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٢/ ٥٠٦).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٧٣).

(٣) الشريعة للآجري (١/ ٤٣٧).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٩٨٤).

(٥) الشريعة للآجري (٣/ ١٠٧٦).

قط»[1].

- قال عبد الله بن يوسف: «سئل مالك بن أنس، عن الداء العضال، فقال: الخبث في الدين»[2].

- قال عبد الرحمن بن مهدي: «رأيت رجلا جاء إلىٰ مالك بن أنس يسأله عن شيء أياما ما يجيبه فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج قال: فأطرق طويلا، ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله يا هذا إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير وليس أحسن مسألتك هذه»[3].

- قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ «السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»[4].

وقد ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك جملة مباركة من كلماته النافعة منها ما يلي:

- إنما التواضع في ترك الرياء والسمعة.
- الزهد في الدنيا، طيب المكسب.
- ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب.
- العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع.
- أخسر الناس من باع آخرته بدنياه، وأخسر منه من باع آخرته بدنيا غيره.

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ١٢٧).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣١٩).

(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٣).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٣٧).

- ينبغي للرجل إذا خُوِّل علماً وصار رأساً يشار إليه بالأصابع أن يضع التراب علىٰ رأسه ويمتهن نفسه إذا خلا بها ولا يفرح بالرئاسة، فإذا اضطجع في قبره ووسد التراب رأسه ساءه ذلك كله.
- وسئل أفضل ما يصنع العبد؟ قال: طلب العلم.
- يقع في قلبي أن الحكمة الفقه في الدين.
- لا خير في شيء من الدنيا وإن كثر بفساد دين الرجل أو مرؤته(١).
- حقاً علىٰ طالب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية وأن يكون متبعاً لآثار من مضىٰ.
- لا تجلس في مجلس لا تستفيد منه علماً.
- التقرب من أهل الباطل هلكة.
- إذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه.
- لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.
- لا يستتاب من سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكفار والمسلمين.
- كان الرجل يختلف إلىٰ الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه.
- بلغني أنه ما زهد أحدٌ في الدنيا واتقىٰ إلا نطق بالحكمة.
- الجدال في الدين ينشئ المراء ويذهب بنور العلم من القلب ويقسِّي، ويورث الضغن.

---

(١) المروءة هي استعمال ما يجمل وما يزين وتجنب ما يدنس ويشين، وهي كمال الرجولة. انظر: المروءة وخوارمها لمشهور حسن سلمان ص ١٥ - ١٧.

- كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر - يعني النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.
- وكان يتمثل دائمـًا بقول الشاعر:

وخير أمور الدين ما كـان سنـة ... وشر الأمور المحدثات البدائع

- أهل الأهواء بئس القوم، لا يسلَّم عليهم واعتزالهم أحب إلي.
- لا ينبغي الإقامة بأرض يكون العمل فيها بغير الحق والسب للسلف[١]

---

(١) وهذه الحكم والوصايا جزء اخترته من مجموعة عظيمة جمعها القاضي عياض في ترتيب المدارك في باب عنون له بحكمه ووصاياه وآدابه (١/ ٩٦ - ١٠٠) وكذلك يوجد بعض منها في الانتقاء ص ٦٨ - ٧٤ وغيرهما.

ثالث عشر: ثناء العلماء عليه

بلغ الإمام مالك منزلة عظيمة في العلم، مما جعل أهل العلم يثنون عليه ثناءً عظيمـًا ويشيدون بفضله وإمامته، ويثنون علىٰ موطئه، وفي هذا الموضع فإني أنقل بعض الأقوال التي رُويت في الثناء عليه، وقد تقدم جزءٌ منها عند الحديث عن شيوخه وتلاميذه، فقد أثنىٰ عليه تلاميذه كما أثنىٰ عليه شيوخه ثناءً بالغـًا.

ومن هذا الثناء ما روي عن بعض أهل العلم من أن الإمام مالكـًا هو المقصود بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالمـًا أعلم من عالم المدينة»[1].

قال سفيان ابن عيينة[2]: «نرىٰ أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس»[3] وقد قال غيره بهذا القول كما نقله ابن عبد البر في «الانتقاء»[4] والقاضي عياض

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٩٩) والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة (٥/ ٤٦) حديث رقم ٢٦٨٠ وقال: «هذا حديث حسن». ا هـ. والحاكم في المستدرك (١/ ٩١) وصححه، ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن الكبرىٰ (١/ ٣٦٨) وكذا صححه أحمد شاكر في تحقيق المسند (١٥/ ١٣٥) برقم ٧٩٦٧ وابن عبد البر – كما في «الانتقاء» ص ٥٠ –.

(٢) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي، إمام محدث حافظ فقيه، أخذ عن عمرو بن دينار وابن شهاب الزهري ومحمد بن المنكدر.. وعنه حماد بن زيد وأبو أسحق الفزاري وعبد الله بن المبارك وابن مهدي ويحيىٰ القطان.. وهو نظير للإمام مالك في الإتقان والحفظ ولكن مالكـًا أجل وأعلىٰ، ولد سنة ١٠٧ هـ وتوفي سنة ١٩٨ هـ. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣٢) والسير (٨/ ٤٥٤).

(٣) التمهيد (١/ ٨٤) والانتقاء ص ٥٢ والمدارك (١/ ٣٢ – ٣٣) والسير (٨/ ٥١).

(٤) ص ٥٠ – ٥٣.

في «المدارك»[1] والذهبي في «السير»[2]، وقال ابن عيينة: «رحم الله مالكًا ما كان أشدَّ انتقاده للرجال»[3] وقال: «وما نحن عند مالك بن أنس؟! إنما كنا نتبع آثار مالك وننظر الشيخ إن كانت كتب عنه مالك كتبنا عنه»[4].

وقال: «مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجة زمانه»[5].

وقال الليث بن سعد: «قال لي مالك في أبي حنيفة «إنه لفقيه يا مصري» ثم لقيت أبا حنيفة فقلت: ما أحسن قول ذلك الرجل فيك. والله ما رأيت أسرع منه بجواب صادق، وزهد تام»[6].

وقال عبد الرحمن بن مهدي[7]: «ما أدركت أحداً إلا وهو يخاف هذا الحديث إلا مالكًا وحماد بن سلمة[8]، فإنهما كانا يجعلانه من

---

(١) (١/ ٣٢ – ٣٤).

(٢) (٨/ ٥٥ – ٥٧).

(٣) الانتقاء ص ٥٢ والمدارك (١/ ٦١) والسير (٨/ ٧٣).

(٤) الانتقاء ص ٥٢ – ٥٣ والمدارك (١/ ٦١) والسير (٨/ ٧٣).

(٥) المدارك (١/ ٦١) والسير (٨/ ٥٧).

(٦) المدارك (١/ ٦٢ – ٦٣).

(٧) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري البصري إمام حافظ محدث فقيه مجوِّد، أخذ عن شعبة وحماد بن سلمة والإمام مالك .. وعنه ابن أبي شيبة وأبو ثور وأبو عبيد.. وشُهد له بالإتقان والحفظ والإمامة ولد سنة ١٣٥ هـ وتوفي سنة ١٩٨ هـ. انظر: الطبقات لابن سعد (٧/ ١٩٧) والجرح والتعديل (٢/ ٤٣١) والسير (٩/ ١٩٢).

(٨) هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري، محدث فقيه نحوي، أخذ عن ابن أبي مليكة وثابت البناني وأيوب السختياني وعمرو بن دينار.. وعنه ابن جريج وابن المبارك وابن مهدي ويحيىٰ القطان.. قال عنه الإمام أحمد: «هو عندنا من الثقات ما نزداد فيه كل يوم إلا بصيرة. ولد سنة ٩١ هـ وتوفي سنة ١٦٧ هـ. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ١٤٠) والسير (٧/ ٤٤٤).

أعمال البر؟!»[1].

وقال: «ما رأيت أحداً أعقل من مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه»[2].

وقال ابن المبارك[3]«لو قيل لي اختر للأمة إمامـًا اخترت لها مالكـًا»[4].

قال ابن المبارك ايضـًا: «ما رأيت رجلا ارتفع مثل مالك بن أنس ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة»[5]

وقال يحيىٰ بن معين: «مالك نبيل الرأي نبيل العلم، أخذ المتقدمون عن مالك ووثقوه، وكان صحيح الحديث وكان يقدمه أصحاب الزهري». وقيل له: «الليث أرفع عندك أم مالك؟ قال: مالك، وهو أعلم أصحاب الزهري وأوثقهم، وأثبت الناس في كل شيء»، وقال: «مالك نجم أهل الحديث المتوقف علىٰ الضعفاء الناقل عن أولاد المهاجرين والأنصار»[6].

وقال البخاري: «مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، كنيته أبو عبد الله كان إمامـًا»[7].

---

(١) الانتقاء ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق ص ٦٣.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي ثم المروزي، إمام حافظ محدث شاعر زاهد قيل فيه: «جمعت فيه خصال الخير». أخذ عن الربيع الخراساني وسليمان التيمي والأعمش والإمام مالك.. وعنه ابن مهدي وابن وهب وأبو داود وابن أبي شيبة.. له «الزهد» ولد سنة ١١٨ هـ وتوفي سنة ١٨١ هـ، انظر: السير (٨/ ٢٧٨) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢).

(٤) المدارك (١/ ٦٣).

(٥) حلية الأولياء (٦/ ٣٣٠).

(٦) ترتيب المدارك (١/ ٦٤).

(٧) الانتقاء ص ٦٥.

وقال النسائي: «وما أحدٌ عندي بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس، ولا أحد آمن علىٰ الحديث منه»[١].

وقد بلغ من ثناء العلماء عليه، أنهم جعلوه مثلاً في السنة والاتباع، قال الإمام أحمد بن حنبل: «إذا رأيت الرجل يبغض مالكًا فاعلم أنه مبتدع»[٢].

وقال ابن مهدي: «إذا رأيت الحجازي يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة»[٣].

وقال الذهبي: «هو شيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة»[٤].

وقال أيضًا: «ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكًا في العلم والفقه والجلالة والحفظ»[٥].

وكذلك فقد أُثني عليه شعراً:

قال ابن المبارك:

صَمُوتٌ إذا ما الصمت زيّن أهله وفتّاق أبكار الكلام المختَّم
وعىٰ ما وعىٰ القرآن من كل حكمةٍ وسيطتْ الآدابُ باللحم والدم[٦]

---

(١) الانتقاء ص ٦٥ – ٦٦.

(٢) مناقب مالك للزواوي ص ١٠٦.

(٣) الجرح والتعديل (١/ ٢٥).

(٤) السير (٨/ ٤٨).

(٥) المصدر السابق (٨/ ٥٨).

(٦) المدارك (١/ ١٣٥) والسير (٨/ ١٣٣).

وقال بعضهم:

إذا مـا عُـدَّت العلمـاء يـومـًا ... فـمـالـك في العلوم هو الضياء
تـبـوَّأ ذروة العـلـمـاء قـوم ... فهم كالأرض وهو لـهـم سماء[1]

(١) المدارك (١/ ١٣٦).

رابع عشر: وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

توفي الإمام مالك - رحمه الله تعالىٰ وقَدَّس روحه-في شهر ربيع الأول سنة (١٧٩) هـ، وعمره ست وثمانون سنة، ودُفن بالبقيع بالمدينة النبوية[١].

(١) التمهيد (١/ ٩٢)، الانتقاء ص ٨٨، السير (٨/ ١٣٠)، الديباج ص ٧٨.

خامس عشر: سعة انتشار المذهب المالكي

حقق المذهب المالكي انتشاراً واسعًا في أرجاء العالم الإسلامي منذ عهد مؤسسه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان لذلك الانتشار أسباب عديدة، سأذكر بعضها، بعد الإشارة إلىٰ البلدان التي انتشر فيها هذا المذهب.

وفي عبارة موجزة يُجري القاضي عياض حصراً لأهم الأقاليم التي انتشر فيها المذهب فيقول: «فغلب مذهب مالك علىٰ الحجاز والبصرة ومصر وما ولاها من بلاد أفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصىٰ إلىٰ بلاد من أسلم من السودان إلىٰ وقتنا هذا. وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً، وضعف بها بعد أربعمائة سنة، وضعف بالبصرة بعد خمسمائة سنة، وغلب من بلاد خراسان علىٰ قزوين وأبهر[(١)] وظهر بنيسابور وكان بها وبغيرها أئمة ومدرسون... وكان ببلاد فارس وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام»[(٢)]

فتبيَّن أن المذهب المالكي حقَّق انتشاراً في شرق البلاد الإسلامية وغربها، وكان له في كل منها أتباع وعلماء يقررون قواعده ويشرحون أصوله، حتىٰ ظهر في المذهب المالكي ما يعرف بمصطلحي المشارقة والمغاربة في مسائل الخلاف في المذهب[(٣)].

ولعلّ أهم أسباب هذا الانتشار العظيم للمذهب المالكي في البلاد الإسلامية هي:

---

(١) مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان والعجم يسمونها أدهر، انظر: معجم البلدان (١/ ٨٢).

(٢) المدارك (١/ ٣١).

(٣) الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي ص ١٠٥.

شخصية صاحب المذهب نفسه - الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما عرف عنه من تمسكه بالسنة، ومحاربة البدعة، وتشبثه التام بآثار الصحابة والتابعين واستجماعه أدوات الإمامة... مما دفع الناس إلىٰ أن يقدروا علمه، وينقادوا له، ويقتنعوا بأن مذهبه أولىٰ بالاقتداء والاتباع.. إضافة إلىٰ ثناء الناس عليه وإعجابهم بحسن سيرته وموطن نشأته، واستقامة سلوكه وإخلاصه في بذل العلم والتزامه الصارم باتباع نصوص الكتاب والسنة والقياس الصحيح، فما من مسألة تعرض عليه إلا والتمس لها حلاً في الكتاب والسنة، فإن لم يجد اعتذر عن الفتيا والحكم، واكتفىٰ بجملته المحببة إليه: «لا أدري»[1].

ولعل كتابه «الموطأ» الذي هو أول كتاب أُلف في الحديث -كما سبق بيانه- كان من أسباب شهرة الإمام بين المسلمين وإعجابهم به تبعاً لإعجابهم بالكتاب.

ومن الباحثين من يرد ذلك إلىٰ ملائمة المذهب لطبيعة الناس، ذلك أن المذهب المالكي - كما عرف عنه؛ مذهب علمي واقعي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم، ويراعي المصالح العامة ومقاصد الشريعة، ويتماشىٰ مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها، دون تكلف أو تعقيد[2].

ومن الأسباب: طول المدة التي مكثها الإمام مالك يدرس الحديث والفقه، ولاشك أن طول المدة يؤدي إلىٰ كثرة التلاميذ وتكاثفهم، وتعاقب

(١) مقدمة محقق كتاب التهذيب في اختصار المدونة للبراذعي ص ١٤ واسم المحقـق محمد الأمين ابن الشيخ وقد راجع التحقيق الأستاذ الدكتور أحمد علي الأزرق نائب مدير جامعة أم درمان الإسلامية سابقاً.

(٢) المصدر السابق.

الأجيال في الأخذ والتلقي[1].

ومن الأسباب أيضًا: تنوع وسائل طرق التلقي عن الإمام مالك، وهي وسائل اتسمت بالسعة والمرونة، وضمت إلىٰ التلقي المباشر، المراسلات بينه وبين تلاميذه في البلدان البعيدة والنائية من المدينة، إضافة إلىٰ الصلة القوية والرابطة التي كانت تربط بين الإمام مالك وتلاميذه[2].

وكذلك من الأسباب: وجود الإمام مالك في المدينة النبوية، التي تقصد من شتىٰ بلاد الإسلام من الحجاج والمعتمرين وطلاب العلم لاسيما أهل المغرب والأندلس، الذين كانوا يكتفون بالحجاز ولم يكن لهم سبب ولا طريق يربطهم بالعراق بل يكتفون بالمدينة ومذهبها ويرجعون إلىٰ بلادهم ناشرين له.

وإن من الأسباب: تأثير علماء المذهب المالكي في الأوساط الاجتماعية التي عاشوا فيها، والذين قد احتلوا مكانة مرموقة في نفوس الناس، فكان لذلك الإعجاب الشديد بشخصياتهم أثر قوي في دفع الناس إلىٰ التعلق بمذهب إمام دار الهجرة.

ولاسيما القضاة، فقد حاز مجموعة من علماء المذهب المالكي القضاء في كثير من العواصم الإسلامية خاصة في القرن الثالث الهجري[3].

---

(١) مقدمة محقق كتاب التهذيب في اختصار المدونة للبراذعي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) إذ كان القاضي إسماعيل قاضي القضاء الأعلىٰ ببغداد، والحارث بن مسكين بمصر وسحنون قاضي القضاء بالقيروان وممالك أفريقيا، ويحيىٰ بن يحيىٰ مستشارًا في تعيين قضاة الأندلس، وذلك في عصر متقارب، انظر: الاختلاف الفقهي ص ١٠١ والفكر السامي (٣/ ١٠٣).

ويرىٰ بعض أهل العلم أن تأثير السلطة كان له دور في ذلك، مثل ابن حزم: حيث يرىٰ أن مذهبين انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة ومذهب مالك وذلك أن السلطان يعين والي القضاة الذي يكون القضاة من قبله في البلاد المختلفة(١).

فهذه أبرز الأسباب التي أدت إلىٰ انتشار هذا المذهب العظيم في الآفاق المتعددة. وكان لهذا المذهب مدارس عديدة أشهرها خمس مدارس وجدت في بلاد عدة وهي: المدرسة المدنية(٢) والمصرية(٣) والعراقية(٤) والأندلسية(٥) والقيروانية(٦).

---

(١) الاختلاف الفقهي ص ١٠١ وانظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد المقري (٢/٢٠٨).

(٢) وهي التي كانت في المدينة النبوية نفسها، وكان من أشهر رجالها: أبو حامد سلمة بن دينار والمغيرة المخزومي مفتي المدينة، بعد مالك وابن الماجشون وابن نافع ومطرف بن عبد الله الهلالي وغيرهم.

(٣) ومن أشهر أعلامها: عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وأشهب بن عبد العزيز ومحمد بن الحكم.

(٤) وقد تأسست علىٰ يد أبي أيوب سليمان بن بلال قاضي بغداد وعبد الرحمن بن مهدي والوليد بن مسلم بن السائب وغيرهم.

(٥) التي أرسىٰ قواعدها زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون، وأبو محمد الغازي الأموي القرطبي، وعبدالله ابن بشر بن شراحيل القاضي ثم من بعدهم يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي راوي الموطأ.

(٦) وقد نشأت علىٰ يد علي بن زياد وأصحابه ومنهم البهلول بن راشد وعبد الرحيم بن أشرس وعبد الله بن غانم. وانظر: مقدمة تحقيق التهذيب في اختصار المدونة ص ١٧ - ١٩.

المحتوى

المقدمة ٥

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ٨

ثانيًا: مولده ونشأته ١٠

ثالثًا: أسرته وأهل بيته ١٣

رابعًا: صفته وملبسه ١٩

خامسًا: عصره ٢١

سادسًا: طلبه للعلم واجتهاده في تحصيله ٢٦

سابعًا: شيوخه ٣٦

ثامنًا: تلاميذه ٤٣

تاسعًا: جلوسه للتدريس والإفتاء وصفة مجلسه وهيبته وتحريه وورعه في الفتوىٰ: ٥٤

عاشراً: الأصول التي بنىٰ عليها الإمام مالك فقهه.......... ٦٠

حادي عشر: مؤلفاته. ٦٨

ثاني عشر: من أقواله وحكمه ووصاياه.................. ٧٦

ثالث عشر: ثناء العلماء عليه ٨٢

رابع عشر: وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٨٧

خامس عشر: سعة انتشار المذهب المالكي ٨٨

المحتوىٰ.. ٩٣